طالب غالي

صراحة

من زمن التتوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (3854) السنة الرابعة عشرة -

الخميس (16) شباط 2017

WWW. almadasupplements.com

9

أغنيات العراقي المهذب وأناشيد منفاه

الفنان طالب غالي الضاحي من مواليد البصرة منطقة مناوي باشا عام ١٩٣٧، فنان متعدد المواهب فهو شاعر وملحن، بدأ مشواره منذ الطفولة بكتابة الشعر، خريج دار المعلمين الابتدائية في البصرة عام ١٩٥٩. حيث يعتبر واحد من الملحنين العراقيين البارزين لما قدمه من الحان رائعه علقت في ذاكرة العراقيين في فترة السبعينات و الثمانينات من القرن الماضي.

إعـــداد/ عـراقـيـون

حياته

دخل المدرسة الابتدائية في المناوي باشا ثم استمر بدراسته في متوسطة العشار وشاءت الصدف أن فتحت دار المعلمين الابتدائية في البصرة بنفس العام الذي أنهى به دراسته، ولضيق الحالة المادية لعائلته واختصارا للوقت دخل الدار ليتخرج منها بعد ذلك ويساعد في إعالة إخوانه. وفي دار المعلمين أخذت حياته منحى آخر واتجه إلى الأدب والشعر، حيث وجد في معلم اللغة العربية الأستاذ رزوق فرج رزوق التشجيع، فنشر أول قصيدة في نشرة الدار وهي نشره دورية تصدر عنها. إلتقى في بداياته بالشاعر محمد سعيد الصكار حيث أصبحا أصدقاء والذي شجعه على الاستمرار في كتابة الشعر، وفي عام ١٩٧٤ صدر له ديوان شعر بعنوان «حكاية لطائر النورس» عن وزارة الثقافة والاعلام، كما له العديد من القصائد التي لم تطبع. تعلم العزف على آلة العود على يد الفنان ياسين الراوي عام ١٩٥٨، أثناء دراسته في دار المعلمين حيث تلقى دروسا في الموسيقى وقتها، وتعلق بالعود وبدأ العزف عليه والغناء، بعدها تأثر بالفنان حميد البصري الذي كان له الأثر الكبير عليه، حيث تعلم منه المقامات وتفرعاتها. انضم إلى فرقة اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية كعازف ومطرب في العام ١٩٦١ كان عضواً في الفرقة البصرية التي تشكلت عام ١٩٦٤، وقد كتب ولحن للفرقة العديد من الأغاني، والتي وقدمت على مسارح البصرة في وقتها. أشترك في برنامج وجوه جديدة الخاص بالمواهب الغنائية عام ١٩٦٨ في بغداد وقدم أغنية «العيون النرجسية». بسبب انتمائه السياسي ضمن الحزب الشيوعي العراقي وبعد الهجمة الشرسة للنظام الحاكم في العراق على الاحزاب التقدمية والمعارضة لسياساته عام ١٩٧٩، قرر طالب غالي الرحيل عن مدينته البصرة التي احبها كثيرا و توجه إلى الكويت لقربها منها، وبدأ من هناك مشوار مفعم بالإبداع والألحان الجميلة، بعد تعاون جمعه بالفنان فؤاد سالم، واستمرت الرحلة هذه لغاية ١٩٨٥ حيث لحن حوالي خمساً وعشرين أغنية للفنان فؤاد سالم، أهم ما قدمناه سوية في تلك الفترة رائعة بدر شاكر السياب غريب على الخليج وكذلك قصيدة محمد مهدي الجواهري دجلة الخير. لحن طالب غالي العديد من الأغاني السياسية التي تغنت بحب الوطن والتي كانت تمثل حقبه مهمة من تأريخ العراق السياسي المعارض لنظام صدام حسين، ترك طالب غالي العراق وعاش في بلدان المهجر ليستقر حالياً في الدنمارك.

أنبثقت فكرة تقديم الأوبريت الغنائي عن طريق لقاء جمع الفنانين والأدباء في البصرة لمناقشة تقديم عمل موسيقي كبير يتخطى الأغنية الفردية وقد حضر هذا اللقاء محمد سعيد الصكار، ياسين النصير، حميد البصري، قصي البصري و علي العضب حيث قدم

أوبريت بيادر خير، حيث يعتبر هذا الأوبريت اللبنة الأولى المهمة والمؤثرة في تاريخ المسرح الغنائي العراقي وعلامة من علاماته المميزة. قام بعدها بتلحين أوبريت المطرقة الذي قدم في ١٩٧٠/٥/١ بمناسبة عيد العمال العالمي في بغداد – قاعة الخلد،حيث كتب كلمات الأوبريت الشاعر الكبير علي العضب.

اهم أعماله الفنية

أعماله في مجال المسرح الغنائي و الأوبريتات

إسم الأوبريت..... مؤلف الأغاني.... المؤدي
مخرج الأوبريت..... السنة
أوبريت المطرقة/ علي العضب/ مجموعة فنانين اخراج قصي البصري ١٩٧٠
المسرحية الغنائية العروسة بهية/ علي العضب مجموعة فنانين/ اخراج قصي البصري ١٩٧١
اغنية يا ارض ربنا خضره لمسرحية ليالي الحصاد/ رياض احمد/ قصي البصري ١٩٧٣
اغنية لمسرحية المفتاح/ لطيف صالح ١٩٧٣
بعض المقاطع الموسيقية لمسرحية مؤسسة الجنون/ محمود درويش/ ١٩٧٣

اهم الأغاني التي لحنها

الأغنية..... أداء..... كلمات
عمي يا بو مركب/ فؤاد سالم/ كريم العراقي
أم راشد/ فؤاد سالم/ طاهر سلمان
غريب على الخليج/ فؤاد سالم/ بدر شاكر السياب
دجلة الخير/ فؤاد سالم/ محمد مهدي الجواهري
هلا يا بلام / فؤاد سالم /
هلي/ فؤاد سالم
عاد الربيع/ سيتا هاكوبيان/ الملحن نفسه
هللّه هللّه يا سمه / سعدون جابر
طاح الندى ياكصبية / مائدة نزهت
ياشبيبة توحدي/ أغنية لاتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي
كليليكاوا / علي العضب
صندوقنا العالي/ علي العضب
إجاك الواوي /علي العضب

حلاوة اللغة الموسقة وطلاوة الأسلوب الشعري في (تقاسيم على الوتر السادس) لطالب غالي

عدنان حسين أحمد

صدر عن (دار المدى) في دمشق ديوان جديد للشاعر العراقي طالب غالي يحمل عنوان (تقاسيم على الوتر السادس). وقد سبق له أن أصدر ديوانه الأول (حكاية لطائر النورس) عن (مطبعة دار الأديب) ببغداد عام ١٩٧٤. وكما يلاحظ القارئ الكريم أن هناك ست وثلاثين سنة تفصل بين الديوانين، الأمر الذي يكشف أن شاعرنا مُقِلّ في كتابة الشعر لأن حياته الإبداعية تتوزع بين الموسيقى وكتابة الشعر. فالذين يعرفون طالب غالي من كثب يدركون أهمية آلحانه وموسيقاه الصرفة التي كرّس لها جزءاً كبيراً من حياته الممتدة من الوطن المصادر الى المنفى الموحش. فلا غرابة إذاً حينما ينحسر منجزه الشعري من حيث الكم لا النوع، فربّ مجموعة شعرية مركزة مكثفة واحدة تعادل عشر مجموعات شعرية مُسطّحة لا تعرف الى العمق أو الرصانة الابداعية سبيلا. من هنا يمكننا القول بثقة كبيرة أن المنجز الشعري عند طالب غالي مرتبط على الدوام بالنوع الأصيل والجودة الفنية. فنصه الشعري، حقيقة، من نسيج وحده، ولا ينتمي الى نمط النصوص السائدة التي تضج بها الصحف والمجلات والمواقع الأدبية. يتضمن هذا الديوان ست وعشرين قصيدة كتبها الشاعر خلال العقدين الأخيرين عن موضوعات مهمة كانت تهزّ أعماق الشاعر وتحرّضه على الكتابة الابداعية الخالصة التي يثبت بواسطتها ولاءه المطلق للشعر. دعونا نتوقف عند قصيدة (تقاسيم على الوتر السادس)، وهو العنوان الذي إنضوى تحته الديوان، لنكتشف حجم الغربة المكانية التي يعاني منها الشاعر حيث يقول في مطلع هذا النص القائم على بنية موسيقية مجردة: (أصدقُك القول بأن المُدُنَ المنفى مُوحشةٌ خرساء). ثمة تضاد وتنافر شديد بين الشاعر المُقتلع من جذوره وبين المكان الجديد الذي وفد إليه سواء بإرادته أو رغماً عنه. فهذه المدن ليست موحشة حسب، وإنما هي خرساء فعلاً تعاني من الاحتباس اللغوي، ولا تستجيب لكل المعطيات الفنية والأدبية التي يتوفر عليها الشاعر. فقصائده هي ليست وسيلة إتصال، وإنما هي وسيلة إنفصال بإمتياز تام وفقاً لردود فعل المنفى أو لاستجابة مدنه الصمّاء. فلا غرابة حينما يقول: (أرضٌ ليست أرضك لن تتعرّفَ على ملامحك / وسماء غير سمائك لن تفتح لك أبوابها / فأنّى ستوجّهُ أشرعتكَ وبحار الدنيا تغشاها الظلمةُ والأمواج؟). ثمة قطيعة واضحة يعانيها الشاعر في منفاه الجديد، وسوف تفضي به حتماً الى السقوط في محنة الإغتراب الروحي والنفسي والجسدي. أن منْ يتفحّص هذه القصيدة بعناية فائقة سيكتشف بيسر أن الشعر يتماهى بالموسيقى، وأن العكس صحيح. وإذا كانت الموسيقى، بوصفها أرقى الفنون، هي أنموذج لأعلى درجات التجريد، فإن طالب غالي يسعى في هذا النص تحديداً بأن يصل باللغة الشعرية الى فضاء التجريد الموسيقي ويتماهى فيه. فالأغاني الجنوبية والألحان الريفية العراقية لا تستطيع أن تخترق هذا الجدار الأصم لتصل الى أذن الآخر المسحور بالجاز والروك أند رول وما الى ذلك من أنماط الموسيقى المعدنية.

تأتي القصيدة الثانية (بصريانا) وكأنها ردٌّ على الغربة المكانية في القصيدة الأولى. فها هي روح الشاعر تتجسد في تفاصيل النص الذي تفوح منه روائح (القدّاح والحنّاء والكرم المحلّى)، فيما يتأثث البيت البصري (من خفقة الأرواح ومن نبض القلوب ومن الأغاريد الشجية). لا شك في قارئ هذا النص، أو معظم النصوص الأخرى يشعر بالنَفَس الرومانسي الرقيق التي تبنّاه الشاعر كتقنية مُستحبة له تذكرنا بالأساليب التي كان يستعملها الشعراء الرومانسيون الإنكليز الذين يستوحون مفردات لغتهم الشعرية من الطبيعة الساحرة الخلابة. وهذا ما يفعله بالضبط طالب غالي الشاعر الرومانسي بإمتياز كبير، ولا أظن أن قارئاً ما يمكن أن تفوته هذه الرقة العالية التي جسّدها في قصيدة (بصريانا) أو في غيرها من قصائد هذا الديوان المتفرّد بلغة الشعرية المتوهجة التي نغبطه عليها.

دبّجَ الشاعر طالب غالي بعض قصائده لإبنته (دُنى) وشقيقه الراحل (مرتضى) وثنية روحه (سلمى). وقد تميزت هذه القصائد بخصوصيتها لأنها تحمل قدراً كبيراً من الدفء والحميمية. ولعل قصيدة (طفلة الأمس) التي كتبها تحديداً عن (دُنى) مخاطباً إياها بنبرة شعرية عالية كتشف عن طبيعة حبه الكبير خصوصاً وأنها ورثت عنه هاجس الشعر وقلق الكتابة الأدبية. أما شقيقه مرتضى فيبدو من سياق النص أنه قد سبقه في الرحيل الى المنافي بسبب الأراجيف، أي الأخبار الكاذبة التي إضطرته الى العيش في غربة ممضة أفضت الى رحيله الأبدي من هذه الدنيا الفانية. يقول طالب غالي في وصف هذه الغربة القسرية: (سكنتَ بعيداً بأرضٍ تموّج حُزنكَ فيها / وإستحال غيوماً تشفُّ / فأطلقت مدار؟ أما القصيدة الثالثة التي أخذت عنواناً صريحاً ومباشراً لا لبس فيه فهي قصيدة (إيّاك أحب) المجرّدة من الاهداء، لكنها لا تخرج عن مدار (سيدة الفرح الأبهى) التي أولجها الشاعر هذه المرة في مناخ شعري يتراسل، ويتلاقح، وربما يتناص كثيراً مع واحدة من أشهر وأجمل قصائد الشاعر الكبير نزار قباني وهي قصيدة (ثغر الأحزان) المعروفة التي يقول الشاعر في مطلعها: (عيناكِ كثغرَي أحزاني / ثغرَي موسيقى حملاني) أما شاعرنا طالب غالي فيستهل نصه بالأبيات التالية التي تحيل الى مناخ قبانيّ متشابه من الناحية الإيقاعية ومختلف من حيث الثيمة والبنية الداخلية العميقة للنص الشعري الذي يأتي منسجماً مع سياق القصائد (المعارضة) التي عرفها أدبنا العربي القديم والحديث في آنٍ معاً.

أبعدَ عمق الأسرار بعينيك.. / وأنا.. / أتكاثفُ حتى أصبحَ قطرةَ ماء / في قاع مكشوف).. في قصيدة (عندما يُزهِر الحنين) المُهداة أيضاً الى زوجته سلمى يصل التماهي بها الى ذروته. فهي هدفه وغايته الأولى والأخيرة، ولا يروم شيئاً طالما أنها تدور فلَكه. (أودعتُ كلّ سنين العُمر من لهف / في مقلتيك وأغفى بعدها الغُمْرُ). إن حرارة الصدق وزخم المحبة تشع من معظم قصائد هذا الديوان الذي يعتمد كثيراً على تقنية البوح، غير أن هذه القصيدة المتلاعة بالذات هي أنموذج للمحبة الصادقة المتفجّرة التي تعرّي صاحبها من دون لفٍّ ودوران حيث يقول: (هذي حياتي وكان شبهَ مُجدبة... / حتى أتيتِ فروّى أرضها المطرُ) ولك أيها القارئ الكريم أن تتخيّل شكل الأرض المجدبة اليباب التي يسقيها مطر مدرار؟ أما القصيدة الثالثة التي أخذت عنواناً صريحاً ومباشراً لا لبس فيه فهي قصيدة (إيّاك أحب) المجرّدة من الاهداء، لكنها لا تخرج عن مدار (سيدة الفرح الأبهى) التي أولجها الشاعر هذه المرة في مناخ شعري يتراسل، ويتلاقح، وربما يتناص كثيراً مع واحدة من أشهر وأجمل قصائد الشاعر الكبير نزار قباني وهي قصيدة (ثغر الأحزان) المعروفة التي يقول الشاعر في مطلعها: (عيناكِ كثغرَي أحزاني / ثغرَي موسيقى حملاني) أما شاعرنا طالب غالي فيستهل نصه بالأبيات التالية التي تحيل الى مناخ قبانيّ متشابه من الناحية الإيقاعية ومختلف من حيث الثيمة والبنية الداخلية العميقة للنص الشعري الذي يأتي منسجماً مع سياق القصائد (المعارضة) التي عرفها أدبنا العربي القديم والحديث في آنٍ معاً.

يقول طالب غالي: (ماذا يبكيك؟ أجيبيني / يا حُلم القلب المفتون / يا واهبتي أجمَلَ حب في عالم حقد مجنون). ثم يستمر الشاعر في محاوَرته لمحبوبته التي داخَلَ الشكُّ قلبها، أو هكذا تلمّس الطريق الى بعض مقاصدها الخفيّة بسبب بكائها المتواصل الذي لا يجد أي مبرر منطقي له طالما أنها تعرف جيداً (كشوفات قلبه) وتفهم عينيه اللتين لم تتعلقا بامرأة سواها الى أن يقول: (هل عندك شكٌ في حُبي / فلديكَ كشوفاتُ سنيني / إيّاك أحبُّ.. وما أحدٌ / يقدرُ عن حُبك يلهيني).

ثمة قصائد أُخَرُ بعضها مُهدىً الى أولاده أو أصدقائه من أهل البصرة على وجه التحديد وكلها يستحق دراسات نقدية منهجية معمقة غير أن القصيدة الأخيرة في هذا الديوان والتي إنضوت تحت عنوان (القطعات وحوار مع الشهيد كامل شياع) هي من القصائد المؤثرة جداً بسبب توفرها على مناخ درامي مفجع يتناسب مع حجم الخسارة التي مُنيَ بها الأدباء والمثقفون العراقيون على وجه التحديد، وكأن يد الإرهاب الأسود كانت تتعمد في أن تطعن الوسط الثقافي العراقي في الصميم. لم يعتد شاعرنا طالب غالي على كتابة قصائد الندب والرثاء، لكنه، في هذه القصيدة، وجد نفسه مضطراً لمواجهة المحنة وكتابة النص الذي يرتقي لحجم الكارثة التي ألمّت بعشاق الكلمة في العراق. يتساءل شاعرنا طالب غالي عن السبب الذي دفع كامل شياع للعودة الى (محراب الوطن الموجوع): (هل جئت تعيد الخضرة للأغصان؟ / والطيرَ الى وُكناته؟ / وتجدّد للعيد أغانيه؟ / أو تبدع للحُب شموساً ومحطات أمان؟). وعلى الرغم من التحذيرات الكثيرة التي أطلقها الشاعر في متن النص: (كُن يقظاً / كل الطُرُقات مُلغمة بكواتم صوت / كل الطلقات مزينةٌ بجدائل موت / والأجواءُ تعَجّ بغربان القتل / وأربابِ الجهل)، إلا أن الشهيد كامل شياع كان يمشي، على ما يبدو، الى حتفه بقدميه حيث أردوه قتيلاً في الحال!

وفي الختام لابد من الاشارة الى أن هذا الديوان يزخر بالعديد من الموضوعات والثيمات الشعرية التي تستحق دراسات أخرى مفصلة مثل المكان أو اللغة الشعرية المجنّحة أو الايقاع الداخلي والخارجي أو صياغة الصورة الشعرية وما الى ذلك من معطيات فنية وجمالية لا تخفى على القارئ الحصيف.

الفنـان طالـب غالـي منـارة الأغنية العراقية

عرفته منذ سنوات الغربة الطويلة، فناناً قديراً ثابت الخطى منحازاً لوطنه وشعبه يعمل بهدوء دون ضجيج او ادعاء، طيب القلب والوجدان، شجاع لم تثبـط الغربة عزيمته كإنسـان وفنان، لم يتكئ عـلى الامجاد ولم ينم على مخدة الاسـترخاء، احب بيته الصغـير الذي كان بمثابة وطن مصغر، كانت اغنياته التي لحنها زوادة غربتنا تُغَذي صَبرنا على غربة صعبة مريرة وطويلـة، وكانت الاعـمال التي جمعته بفنان الشـعب فؤاد سـالم اهم اعماله اللحنية واوسـعها انتشـاراً، خـرج من العراق مشـياً على الاقدام صوب الكويت متخذاً من الرمال سـتاراً في رحلة هروبه من الديكتاتورية، وفي الكويـت التي كانت بتقديري اهم محطـات غربته حيث وصلها عام ١٩٧٩، وهناك انجز قرابة خمس وعشرين أغنية للفنان فؤاد سـالم، واهم ما قدمه في تلك الفترة رائعة بدر شـاكر السياب (غريب على الخليج) التي اكـدت مقدرته اللحنية العظيمة وكذلك لحّـن اغنية قصيدة محمد مهدي الجواهري (دجلة الخير) التي كانت بمثابة سمفونية وطنية.

رحيم الحلي

منذ بضعة اعوام أسعى لحواره ورغم التجاوب الذي اعلنه فقد تأخر الموضوع كثيراً وبعضه يعود لتشردي في وطني وبعضه يعود لترحاله، وانا لا اعتذر بل اعتذر منه لمعرفتي بظروفه الشخصية وانشغالاته واشعر بتقصير كبير تجاه فنان يعد ايقونة غنائية وعلماً ومنارة ابداع، متمنياً له دوام العافية والعطاء فهو بقية نخيل البصرة العالي الذي تحدى الزمن ورياح الطغيان العاتية.

وفي سؤالي الذي وجهته لفناننا الكبير طالب غالي عن واقع الاغنية العراقية كتب:

ان أي نشاط اجتماعي في مجالات الادب والفن والتشكيل مـا هـو الا انعكاس متحرك للواقع الذي يسود المجتمع، ومن هـذه المقولة نستطيع ان نقيم الانشطة والفعاليات في هذه الحالـة الزمن. الآن والوطن ومنذ اكثر من اثنتي عشرة سنة يمر في حالـة مخاض وعدم استقرار تتناهبه الصراعات الطائفية والمذهبية والقومية، اضافة الى عامـل مهم هـو سيطرة الفكر الاعلامـي الاسلامي على السلطة ومراكز القرار..ولـه مواقفه ونظرته السلبية من الثقافة والفنون التي هي مصدر تنوير واشعاع للأجيال الصاعـدة وتطلعاتها للحـرية والتجديد والامان بركب الامم المتحضرة..من هنا نجـد ان عوامل كثيرة ساهمت في تخلـف الاغنية نصّاً ولحناً، اضافـة لتنصل القائمين علـى المشهد الثقافي عن الاهتمـام ومسؤوليـة رعايـة الفنانيـن والادباء لتسجيل نتاجهم الخاص.

يضـاف الى ذلك عدم وجود شركات انتاج خاصة تتبنى الطاقات الشابة وتسجيلها ونشرها..عدا بعض المؤسسات التي تهدف الى جانب الارباح على حسـاب النوعيـة والقيمة الفنيـة ، اين تلك الاغاني السبعينية بنصوصها الجميلة والحانها الراقيـة والاصوات العذبة..وللانصـاف هناك شـذرات قليلة تلمع بين فـترة واخرى..واصوات تبحر في الوجدان، في الحقيقة هناك في الادراج مشـاريـع فنيـة وغنائيـة لم تجد طريقها للتنفيذ لحاجتها للدعـم المـادي والمعنـوي والى جهـة تتبنـى الاعمال، وهـذا لايعني انني قـد جمدتها بـل هناك تحـرك باتجاه عدة جهـات وهو تحرك يبقى في نطاق الفردية..والواقع الحالي لا يبشر بالخير..لكـن اعيننا وافئدتنا ترنـو للبعيد على غيبة الامل.

وعـن سؤالي عـن علاقتـه بفنـان الشـعب فؤاد سالم؟ اجابني:

امـا عـن علاقتـي بالفنـان الراحـل الكبـير فؤاد سـالم فهي تحتاج الى صفحات و ليس سطورا..وباختصار فؤاد سالم فنان كبير. وصوته الرائع الرخيـم وذو المساحـة الصوتيـة الكبيـرة كان بالنسـبة لي الوطـن الـذي الوذ بـه للتعبير عن شجنـي واحلامـي.. حزنـي..وفرحي..تطلعي.. ومساراتي.. فؤاد فنان يمتلك احساساً استثنائياً وسريع الحفظ، نتحاور معاً في خصوص اللحن والنص الغنائي، غنى لي فؤاد اكثر من ٢٥ لحناً اضاف لهـا بعداً جمالياً بتهدجات صوته الشجي الذي يبكيني حين يغني مقطعاً فيه بعض الحزن ، وكم انا مزهو وسعيد لأنني سجلت اهم نصين شعريين للشاعرين العراقيين..الجواهـري.. دجلة الخير..والسياب..غريب على الخليج.

وأمنـي انني لم استطع تسجيل رائعـة السياب التـي لحنتها..انشـودة المطـر وكان مؤمـلاً ان يغنيهـا الراحل فـؤاد الا ان القدر حـال دون ذلك برحيلـه، وهناك اغان اخرى..كمثال اغنية سالم المـرزوق للشاعر العراقي الكبير سعدي يوسف وغيرهـا الكثـير، هـذه خلاصـة الخلاصـة عـن علاقتـي مـع الراحل الكبـير الفنان فـؤاد سالم..هنـاك الكثير مـن الكلام عن رحلتـي الطويلة مع الفنان فؤاد التي بـدأت من الستينيات حيث كان فـؤاد يغني علـى المسرح اغاني ناظم الغزالي..وأنا اقـدم أغاني عبد الحليم حافظ.ثم لاقؤنا في اوبريـت المطرقة الذي لحنتـه وقدمناه على قاعة الخلد عام ١٩٧٠ ..وبعدها سجلنا للإذاعة أغنية عمي يـا بـو مركب..ولقاؤنا الأهـم في الكويت حيث قدمنـا اعمـالاً مهمـة ومثيرة..ويبقى في الاعماق لهفة وغصـة واحساس بالخسارة لعدم تمكننا من تقديم اعمال فنية ذات مستوى متقدم ورؤى حديثة لقضايا حملنا همومها وطموحاتها تتبنى حب الوطن والشعب وتحرض على المحبة والبنـاء والعمل من اجل غد مشرق وشعب آمن وسعيد ووطن حر تسوده المحبة والاخاء..

الفنـان طالب غالي مـن مواليد البصـرة ١٩٣٧، خريـج دار المعلمـين الابتدائيـة في البصرة عام ١٩٥٩، وفيهـا بـدأ يتجه صـوب الأدب والشعر. إلتقى في بدايته بالشاعر محمد سعيد الصكار الذي شجعه على الاستمرار في كتابة الشعر.

خـلال دراسـته في دار المعلمين عـام ١٩٥٨ تعلم العـزف علـى آلة العـود على يـد الفنـان ياسين الـراوي، حيث تلقى دروساً في الموسيقى وقتها، في عـام ١٩٦١ انضـم إلى فرقـة اتحـاد الطلبـة العام في الجمهوريـة العراقية كعازف ومطرب، اصبـح عضواً في الفرقة البصريـة التي تشكلت عـام ١٩٦٤، وقـد كتب ولحن للفرقـة العديد من الأغـاني، اشـترك في برنامـج وجـوه جديـدة الخـاص بالمواهـب الغنائية عام ١٩٦٨ في بغداد البرنامـج وقـدم أغنيـة (العيـون النرجسيـة)، البرنامـج مـن اخـراج واعـداد الفنـان خزعـل مهدي.

جمعتـه بالفنـان حميـد البصـري علاقـة طويلة وكانـت لهمـا مشـاركات في مجـال الاوبريـت الغنائـي الـذي قدمتـه الفرقـة البصريـة اضافة الى مشاركـة الفنانة شوقية زوجـة الفنان حميد البصـري، وام لنـا زوجـة الفنـان طالب غالي في اعمالهما المسرحية.

شـارك في اوبريت بيـادر خير عـام ١٩٦٩ الذي تم عرضـه في بغـداد علـى مسـرح قاعـة الخلـد حيـث شـارك فيـه الفنان فـؤاد سالم بـأداء بعض الأغـاني اضافـة الى مشاركة زوجـة طالب غالي في أغنيـة (اللولـوة) و الفنانـة شوقيـة، ولحـن اوبريـت (المطرقـة) الذي يعتبره من اهم اعماله والـذي تم عرضه عـام ١٩٧٠ وقد ادخل فيه لحن الهيوة لاول مـرة، وكلا العملين كتب نصوصهما الشعرية الشاعـر علي العضب وأخرجهما الفنان قصـي البصري. وساهم طالب غـالي في صياغة الموسيقـى والألحـان في مسرحيـة (العروسـة بهية)، حيث كتب أشعارها علي العضب وأخرجها قصـي البصري عام ١٩٧١ وعرضت على مسارح البصـرة كمـا لحـن أغنيـة للمسـرحية الغنائيـة (ليالي الحصاد) التي اداها الفنان الراحل رياض أحمـد وكانت من اخـراج قصي البصـري، كذلك لحـن أغنيـة لمسرحية (المفتاح) مـن إخراج الفنان لطيف صالح كل ذلك كان عام ١٩٧٣.

تم تسـجيل بعض الأغـاني لفؤاد سـالم منها أغنية (عمي يا بو مركب) من كلمات كريم العراقي، بعد ذلك لحن لسعدون جابر أغنية (هللّه يا سمه) و (أم راشـد) مـن كلمات طاهر سلمـان، كما غنت الفنانة المعروفـة مائدة نزهـت له أغنيـة (طاح الـنده ياكصيبـة محطاتـه، بعـد ذلك قـرر الرحيل إلى الكويت لقربها من البصرة!!وما أن استقر في الكويت حتى بدأ مشواره المفعم بالإبداع والألحان الجميلة فكانت الكويت إحدى أهم المحطات المهمة في حياة الفنـان الملحن طالب غالي حيث التعاون المشـترك والمثمـر مـع الفنان المبدع فـؤاد سالم، واستمـرت رحلة الإبداع هذه لأعـوام يقول: « إلا أن هـذه الفترة تعتبر من اخصـب الفترات الفنية لي والتي استمرت منـذ عام ١٩٧٩ ولغاية ١٩٨٥ حيـث لحنت حوالي خمساً وعشرين أغنية للفنان فؤاد سالم على مدى تلك السنوات. أهم ما قدمناه سوية رائعـة بـدر شاكـر السياب (غريـب على الخليج)، وكذلك قصيدة الجواهري الكبير (دجلة الخير). بعـد أن غادرفـؤاد سالم الكويت افتقدته كثـيرا حيث كنـت اعرف أبعاد صوتـه وأتحسس مواقعـه القوية.. لقد شعرت بغربتي الحقيقية يوم وصلت الدانمارك فكان كل شيء يختلف.

صوت بصري ملون بنغمات الالم العراقي وانين عذاباتهم ،اوتار عوده لم تضعف يوما ولم تكسر ريشته ومازال يداعب بانامله اوتار ذلك العود بشغف وحنين لبلده العراق ومدينته البصرة الفيحاء التي تسكن بين ثنايا روحه تلك المدينه التي غادرها مجبرا الملحن طالب غالي واحد من الملحنين العراقيين البارزين

الملحـن طالب غالي الذي عزفت انامله احزان الغربة

عبد الجبار العتابي

الفنان طالب غالي فنان متعدد المواهب، فتلحين الأغـاني والقصائـد لم تكن موهبته الوحيدة إنما سبقها بكتابته للشعر حيث كان ما يزال في الصف السادس الابتدائي عندما نظم أول قصيدة شعرية بسيطـة، وتطور بعد ذلك في كتابة الشعر من خـلال قراءتـه المتواصلـة للشعر الجاهلـي والمعلقـات وشعـر العصـر الإسلامـي والعصـر الأمـوي والعباسي والشعر الحديـث. كان عمره لا يتجـاوز الخامسـة عندمـا انضـم مـع أقرانـه في الذهـاب إلى الجامـع لختم القـرآن، وفي سن السادسـة دخـل المدرسة الابتدائيـة في « المناوي باشا » ثـم استمر بدراسته في «متوسطة العشار» وشاءت الصدف أن فتحت دار المعلمين الابتدائية في البصـرة بنفـس العام الذي أنهى بـه دراسته، ولضيق الحالة المادية لعائلتـه واختصارا للوقت دخل الدار ليتخرج فيها بعد ذلك ويساعد في إعالة إخوانـه. وفي دار المعلمـين أخـذت حياتـه منحى آخـر واتجـه إلى الأدب والشعـر، حيـث وجد في معلـم اللغـة العربيـة الأسـتاذ رزوق فرج رزوق التشجيع وحيث نشرت له أول قصيدة في نشرة الدار، يقول:

في بدايـة سنـوات الشبـاب التقيت بالشاعـر والصديق الصكّار الذي شجعني على الاستمرار في كتابـة الشعـر، وكان يتابـع مـا اكتبـه ويبدي ملاحظاتـه فيـه. في عـام ١٩٧٤ صـدر لي ديوان شعر بعنوان « حكاية لطائر النورس» عن وزارة الثقافـة والاعـلام، كما أن لي العديـد من القصائد التي لم يتسن لي حتى اللحظة جمعها وطبعها في ديـوان جديد. المحطة الرئيسية والمهمة في حياة الأسـتاذ طالب غالي « الموسيقـى والألحان » لذلك سألنـاه، متى بـدأ اهتمامـك بالموسيقى وما هي قصتك معها؟ حاول جاهدا أن يرسم ابتسامة على شفتيـه قبـل أن يقول « بـدأ اهتمامـي بالموسيقى بعـد أن تعلمـت العزف علـى العـود، كان ذلك عام ١٩٥٨، أثنـاء دراستي في دار المعلمين حيث تلقينا دروسـا في الموسيقـى، أحسست بعدهـا بتعلقي بالعـود وبـدأت أعزف عليـه وأغنـي، لا سيما أن تلـك الفـترة شهـدت ظهـور المطرب عبـد الحليم حافظ الـذي تأثرت به وقدمت بعـض أغانيه على المسـرح. أما في مجـال الموسيقى فقـد كان للفنان حميـد البصـري أثـره الكبـير علـي حيث أفدت منـه الكثير مـن المقامـات وتفرعاتهـا. وواصلت التمريـن والعزف ومعايشة الفرق الفنية وتعلمت الموسيقـى بدافع ذاتـي، وما اندم عليـه لحد الآن هـو أنـي لم اذهـب إلى بغـداد لدراسـة الموسيقى في معاهـد متخصصـة «.. ثـم يواصـل حديثـه قائلاً :« عندمـا تشكلت الفرقة البصرية عام ١٩٦٤ كنـت أحد أعضائها، وقد لحنـت للفرقة العديد من الأغاني الجديدة التي كتبت كلماتها، وقدمت على مسـارح البصـرة. ثم سافرت إلى بغداد عام ١٩٦٨ واشـتركت في برنامـج « وجوه جديـدة» بأغنية (العيـون النرجسية). بعـد عودتـي إلى البصرة ضَمّنـا لقاء جمع الفنانـين والأدباء لمناقشة تقديم عمـل موسيقي كبير يتخطـى الأغنية الفردية وقد حضـر هذا اللقـاء محمد سعيـد الصكـار، ياسـين النصـير، حميـد البصري، قصـي البصري وعلي العضب وانا وحينها انبثقت فكرة تقديم اوبريت غنائـي لم يكـن الأوبريـت أو المسرحيـة الغنائيـة قـد عرفت في العراق قبل ظهـور (ببادر خير) هذا الأوبريـت يعتبـر اللبنـة الأولى المهمـة والمؤثرة في تاريـخ المسـرح الغنائي العراقـي وعلامة من علاماتـه المميزة. ماذا تقول عن تجربتك في مجال الأوبريت» تلمع عيناه ببريق غريب، و كأنه يغور عميقا في الزمن البعيد حيث يستجمع ذلك الماضي الذي ما تزال تفاصيلـه واضحة جلية المعالم أمام عينيـه.. ثم يقول « قبـل أي شيء احـب أن أوضح بـأن المسرحيـة الغنائيـة تختلـف عـن الأوبريت والكثـير يخلـط بينهمـا، الأوبريت يطغـي عليه الجانـب الغنائـي على جانـب الكلام أو الحوار، والعكس صحيح بالنسبة للمسرحية الغنائية، آنـذاك كانت مشكلة نزوح الفلاحين من الريف إلى المدينة والعمل فيها كأجراء في حدائق البيوت أو ما يسمـى (بالبستنجي) فكان لابـد من طرح هذه المشكلـة بأسـلوب جديد، وقـد لاقت هـذه الفكرة استحسـان المجموعة فعكف ياسين النصير على كتابـة السيناريـو وكتب أشعارها علـي العضب، وفي عـام ١٩٦٩ حيث قـدم هذا العمـل في بغداد على مسـرح قاعة الخلـد. لاقى أوبريت (ببادر خـير) نجاحـا كبيـرا جدا. ضـم هـذا العمل بين ٦٠ إلى ٧٠ مشـتركا بـين فتاة وفتـى ولم يكن أياً منهـم محترفا، عـدا المخرج الـذي كان قـد تخرج تـوا من معهد الفنون الجميلـة « قصي البصري». شـارك الفنان فؤاد سالم بـأداء بعض الأغاني كما شـاركت « أم لنـا « زوجتـي في أغنيـة (اللولـوّة) كما شاركت الفنانة شوقية زوجة حميد البصري في العمـل أيضـا للأسـف أن الأجيـال اللاحقة لا تعرف عـن هذا الأوبريت شيئا، فقد حجب النظام السابـق كل شئ لـه مضامين ومعـان سامية. بعد نجاح هذا الأوبريت، فكرنا بطرح قَضية العمال، الذيـن كانوا يشكلون شريحـة كبيرة في المجتمع وبدأنـا بالتحضـير لفكـرة أوبريـت (المطرقـة) الـذي كتـب نصه شعـرا علـي العضـب وأخرجه قصـي البصـري وقمت بتلحـين هذا العمـل. كان زمن عرض الأوبريت لا يتجـاوز الساعتين، إلا أننـا استغرقنـا في تلحين أشعاره ليـالي مضنية طويلـة لعـدة الشهور، وقـد تم عرضـه لأول مرة في ٥/١ ١٩٧٠ بمناسبـة عيـد العمـال العالمي في بغـداد على مسرح قاعة الخلـد وكان له صدى كبيرا لتناوله لنضال الطبقة العاملة وحرمانها من حقوقها والتضحيـات الجسيمة التي قدمتها على مـر التاريـخ، واهم مسرحيـة غنائيـة لحنتها كانت مسرحيـة (العروسة بهية)، حيث كتـب أشعارها علي العضب وأخرجها قصي البصري عام ١٩٧١ وعرضت على مسارح البصـرة. صمت محاولا تذكـر بعض من أبيات أشعار تلـك المسرحية.. التي مـا تزال غضه طرية.. فبعـد اكثر من ثلاثين عاما ومـا تـزال هذه المسرحية عالقة في ذهنه لحد الآن. كما لحـن أغنية للمسرحيـة الغنائية (ليالي الحصـاد) التي اداها الفنان الراحل المرحوم رياض أحمد وكانـت مـن اخـراج قصـي البصـري، كذلك لحن أغنيـة لمسرحية « المفتاح» من إخراج الفنان لطيف صالـح، كما قام بتلحين بعض المقاطع الموسيقية والغنائيـة لمسرحيـة « مؤسسـة الجنون» لمحمود درويش، كل ذلـك كان عـام ١٩٧٣. تم تسـجيل بعض الأغـاني لفـؤاد سـالم منها أغنيـة «عمي يـا بو مركب» مـن كلمات كريم العراقـي، بعد ذلك لحـن لسعدون جابـر أغنيـة (هللّه هللّه يـا سمه) و (أم راشـد) من كلمـات طاهر سلمـان، كما غنت الفنانـة المعروفـة مائدة نزهـت له أغنيـة « (طاح النـده ياكصيبـة محطاتـه، بعـد ذلك قـرر الرحيل إلى الكويت لقربها من البصرة!!وما أن استقر في الكويت حتى بدأ مشواره المفعم بالإبداع والألحان الجميلة فكانت الكويت إحدى أهم المحطات المهمة في حياة الفنـان الملحن طالب غالي حيث التعاون المشـترك والمثمـر مـع الفنان المبدع فـؤاد سالم، واسـتمرت رحلة الإبداع هذه لأعـوام يقول: « إلا أن هـذه الفترة تعتبر من اخـصب الفترات الفنية لي والتي استمرت منـذ عام ١٩٧٩ ولغاية ١٩٨٥ حيـث لحنت حوالي خمساً وعشرين أغنية للفنان فؤاد سالم على مدى تلك السنوات. أهم ما قدمناه سـوية رائعـة بـدر شاكـر السياب (غريـب على الخليج)، وكذلك قصيدة الجواهري الكبير (دجلة الخير). بعـد أن غادرفـؤاد سالم الكويت افتقدته كثـيرا حيث كنـت اعرف أبعاد صوتـه وأتحسس مواقعـه القوية.. لقد شعرت بغربتي الحقيقية يوم وصلت الدانمارك فكان كل شيء يختلف.

تاريخ الأغنيـة السياسـية فـي العراق

إن مـا حفـزني للكتابة في هذا الموضوع ما سـمعته عـلى احدى الفضائيـات العراقية من أحد المستضافين إذ قال بأنه لاتوجد أغنية سياسية في العراق عدا الأغاني التي كانت تمجد النظام.... الخ. لهذا قررت أن أكتب بهذا الموضوع.

مفهوم الأغنية السياسية:

رغم أن أية أغنية تعتبر سياسـية لأنها تعبر عن مفهوم سياسي معين، حتى العاطفية منها تعبر عن مفهوم اجتماعي سياسي يجسد العلاقة بين الرجل والمرأة.

اما مفهوم الأغنية السياسـية فقد ارتبط بالأغنية الوطنية.. الأغنيـة الثورية.. الأغنية المناضلة.. الأغنية الرافضة، بعيداً عن أغنية السلطة.. اغنية مديح الحاكم أو الترويج لأفكاره.

حميد البصري

الأغنيـة السياسـية في العراق: عندمـا نتكلم عن الأغنيـة السياسية هنا، نعني بهـا المفهوم أعلاه. فقد بدأت تلك الأغاني في النصف الأول من القرن العشريـن وكانـت بشـكل أهازيـج (هوسـات) انتشـرت في ثـورة العشريـن وكان مضمونهـا محرضـا ضـد الأسـتعمـار الأنكليـزي ومـن أجـل الحريـة والاسـتقـلال، أمـا الحانهـا فكانـت عفويـة بسـيطـة. ثم جـاءت أغاني المناضلـين في سجـون العهـد الملكـي، إذ كان المناضلـون يؤلفـون كلمـات تتكلم عـن همـوم الوطـن والحـريـة، يلحنـون بعضهـا ألحانـاً بسـيطـة مثل: السجـن ليس لنا نحـن الأبـاة السجـن للمجرمـيـن الطغـاة ويركبـون البعـض الآخـر على ألحـان شعبيـة مثل: يا أمي لا تبك عليّه أنـا المناضل يا هنية أو الحـان مأخوذة من أعمال موسيقية عالمية مثل: لأجل السلام سنزيل الظلام ونرفـع الأعلام للحب و اسلام بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ التي أسـقطت الملكيـة وأقامت الجمهوريـة، ومع الـروح الثوريـة والحريـة التي سـادت العـراق خاصـة في السـنتيـن الأولى للثـورة، ظهـرت مجموعـة مـن الأغـانـي السياسـيـة التـي الهبـت حمـاس الجمـاهيـر العراقيـة للحفـاظ على الثـورة ومكتسباتهـا مثل أغنيـة (هربجي) للراحل الفنـان (أحمد الخليل). (من تهب أنسام عذبة من الشمال على ضفـاف الهور تتفتح قلوب لـو عزف علـناي راعي بالشمـال عالربابة يجاوبـه راعي الجنوب هربجـي كـرد وعـرب رمـز النضـال) وفي بداية السـتينـات حيـث بدايـة انحسـار الديمقراطيـة والحـريـة، انحسـرت الأغنيـة السياسيـة ثم اختفت مع بـدء الأنقلاب الدموي البعثـي في العراق عام ١٩٦٣، فعـادت الى السريـة التامـة بين المناضليـن التقدميـين. عام ١٩٦٨، وبعد الانفتاح النسبي من السلطـة تجاه القـوى الديمقراطيـة، نشط بعض الفنانـيـن الديمقراطيين بانتاج أغان سياسية دون تمكنهـم مـن تداولهـا بحريـة. وفي عـام ١٩٦٩، قدمت الفرقة البصرية أول اوبريت عراقي (بيادر خير) من كلمـات الشاعر (علـي العضب) والحـان (حميـد البصـري)، وهـو عمـل مسرحـي غنائي يحكي عن صراع الفلاحيـن مع الاقطاع واضطرار بعضهـم للهجـرة الى المدينـة. عـام ١٩٧٠ قدمت الفرقـة نفسهـا الأوبريـت الثـانـي (المطرقـة) من الحـان (طالب غالي) الذي جسد معـاناة العمال مع أربـاب العمـل. بعدهـا تشكلـت فـرق صغيرة من الشبيبة الديمقراطية هيأ لها بعض الفنانين اغان سياسيـة اشتركوا فيهـا عـام ١٩٧٣ في مهرجان الشبيبـة الديمقراطيـة العالمـي في برلـين بألمانيا الديمقراطيـة، ومـن هؤلاء الفنانـين جعفر حسن وطالـب غـالي وأنـا. ومـن تلـك الأغـانـي التـي اشتهـرت في المهرجان أغنية: (يا شبيبة توحدي) مـن ألحـان الفنـان (طالب غـالي) وأغنيـة (يا بو علـي) مـن ألحـان الفنـان (جعفر حسـن). في عـام ١٩٧٤، اشتـركت مع شوقية العطار وجعفر حسن ومجموعـة من الفنانـيـن الآخريـن في مهرجـان (عروس البحـر) في بيروت بالذكـرى الخمسيـن لتأسيس الحـزب الشيوعي اللبنـاني، قدمنا فيه عـدد من الأغاني السياسية التـي تتكلم عن نضال الشعب العراقـي في سبيل الحـرية والديمقراطية كذلـك نضـال الشعـب اللبنـاني والفلسطيني وشعوب العالم المتطلعة للسلام. ومن تلك الأغاني أغنيـة (يـا رفـاق الفكـر) و(رف يـا حمـام).... وغيرهـا. وفي هذه الفترة نشط فنانون آخرون في مجـال الأغنية السياسية منهـم الفنان الراحل (كمـال السيـد) والفنـان (سامـي كمـال)، وفي البصـرة الفنان (طارق الشبلـي)، لكن حصار تلك الأغـانـي اسـتمـر واقتصـر تناقلهـا بالتسجيلات (الكاسيت) وتقديمها ببعض الحفلات الحزبية. في ٢١ كانـون الأول /ديسمبرمـن عـام ١٩٧٦، وخـلال جلسة تشـاور ونقاش مـع الشاعر المبدع (زهـير الدجيلي) تم الأتفـاق علـى تأسيس فرقة غنائيـة مصغرة يكتـب كلمات أغانيهـا الأخ زهير وأقـوم انـا بتلحينهـا. وقـد اتفقنا علـى أن يكون مضمـون الأغـاني غـير مباشـر، يتكلـم عـن حب الوطـن والتمسـك بـه وحـب النـاس مـع تضمين مبطـن لقضايـا شعبنـا العراقـي والعربـي لأننا واثقـون من أن السلطـة الحاكمة لن تسمح لنا إذا شعـرت بمضمون الأغاني ضدهـا. وقد أبدع الأخ زهـير في ذلك فكانت الأغنية الأولى: تدرون ليش نحـب؟... حتـى البحب يعرف يحب الناس تدرون ليش نحب؟... حتـى بعشقنا يلمنا شـوق الناس عشـاق هاي الـكاع لو شحوا نضـل عشاق نتبادل ويـاهـا العمر واشواق وي اشواق تعطش.. يلمنا الليـل عطشانين تخضـر.. يلمنـا الصبح فرحانين عشـاق ياخذنا العمر عشاق واحباب علمنا الوطن شنحـب حبينـا كل الورد وأكثـر القداح وحبينا أحلى الثمـر وأكثـر التفاح لكن محبة الوطن عدنا تضل سلاح ولو ضاع حب الوطن يا حب يضل له جناح؟ وفي الوقت الـذي كان الأخ زهير يهيئ لنا الأغاني، اخـترت العناصر الغنائية وكانوا أربعة (فتاتـين وشابين) وبـدأت معهم تدريبات مكثفة على الأيقاعـات العراقية بآلة (الدف الكبير). ثم بدأنا التدريب على الأغاني الواحدة تلو الأخرى حتـى أكملنا عشـر أغنيات منها: يمـر القمر ليلية نتعـود وينشـدني قلت له حبيبي ضـاوي مثلك يا لمواعـدني قلت له حبيبي الهـوا ذاك اليلمنا بديرة توسعنا كلنا سـوا ووا احدنا كمرة صغيرة قلت له حبيبي الوطن والوطن غالي علينا لو ضاع ياهو بعـد يدلنا ويحاجينا وأغنية (عيني يا قمرية) – نحبكـم – عليـناك يا شـوق العـالي.... وغيرها. وفي بداية عـام ١٩٧٧، قدمنا الحفل الأول للفرقة التـي أسميناها (جماعة تمـوز للأغنية الجديدة) لمجموعـة كبيرة مـن الصحفيين في ناديهم. وقد أعجب الجميع بالفرقـة وأغانيها، وكان من بينهم مـن هـو تابـع للسلطة لكنهم لم يجـدوا ثغـرة يستندون عليهـا لمنعنا مـن تقديم تلـك الأغنيات إضافـة الى اعجابهـم باسلـوب تقـديم الفرقـة والحـان الأغـاني. كيـف تمكنـا مـن الاسـتمـرار وتقديم حفـلات جماهيرية، هذا مـا ساتعرضه في القسـم الثالـث. ذكـرت أعـلاه بدايـة تأسيس (جماعـة تمـوز للأغنيـة الجديـدة) التي قدمت عشر أغنيـات سياسية في حفلهـا الأول كلها من كلمات الشاعـر (زهـير الدجيلـي) والحـاني وقـد ذكرت نمـاذج منهـا. قدمـت الفرقـة بعـد ذلـك عـدد مـن الحفـلات الجماهيريـة في بغـداد وبعض المحافظـات العراقيـة، بالتنسيق غـير المباشرمع القـوى الديمقراطيـة واسناد من أحـد المسؤولين في السلطـة بسـبب قناعتـه المطلقـة بالفرقة وما تقدمـه. قدمنـا أغـان جديـدة أخـرى مـن ابـداع شاعرنـا تحـث النـاس علـى التكاتـف والعمل من اجـل حرية الشعب وضـد الظلـم والمحافظة على الوطن مـن أعـداءه. حاولنـا تسجيل تلك الأغنيات في الإذاعـة والتلفزيون دون جـدوى. وفي نهاية عـام ١٩٧٨، ومـع ازديـاد الهجمـة البربريـة مـن السلطـة البعثيـة علـى القـوى الديمقراطيـة اضطررنا الى الخـروج من العراق. أعدنا تأسيس الفرقـة من جديد في (عـدن) باسم (فرقة الطريق) وبدأنـا مرحلة جديـدة من الأغـاني المباشرة ضد النظام القمعي الدكتاتوري في العراق إضافة الى أغان للشعب الفلسطيني والعربي وأغان انسانية تدعـو للسـلام والمحبـة بـين البشـر. ومـن تلـك الأغاني: ولتبقى يا وطني أكبر والتبقى يا وطني أخضر بقلوب العمال تجذر بعيون الأطفال تصور نجمـاً. قمـراً.. مطـراً.. بيـدر ولتبقى يـا وطني أبهى من فرح الموسـم أو أزهـى إن تهجر غصنك يا وطني أطيار الحـب المذعورة أو تغـدو أنهارك عطشى وتبيت عيونك مأسـورة فالعهد سيبقى يا وطني والشعب سيبقى يا وطني تكتب أمجادك اسطـورة وأغنيـة أخـرى: لا لا لا لـن نتـرك الفاشسـت في عراقنـا يعبثـون لا لا لا لـن يفلـت المجرمـون نقسـم بالنهريـن.. نقسـم بالجبـال.. نقسم بالسهول نقسم بالنخيل.. نقسم بالدم الذي يسيـل لا لا لا لـن نتـرك الفاشسـت في عراقنـا يعبثون وللشعب الفلسطيني، ومن كلمات الشاعر الفلسطيني سميح القاسم أغنية المستحيل:أهون ألـف مـرة.... أن تدخلـوا الفيـل بثقب أبـرة و أن تصيـدوا السمـك المشـوي في المجرة اهـون ألف مـرة... أن تطفئـوا الشمس أهون ألـف مرة..... أن تحبسوا الرياح أن تشربوا البحر وأن تنطفوا التمسـاح أهـون ألـف مـرة... مـن أن تميتـوا باضطهادكم وميض فكـرة وتحرفونا عن طريقنا الـذي اختـرنـاه... قيـد شعـرة ولكسب تضامن الشرفـاء مـع شعبنا هـذه الأغنية: إننـا لا نرهب المـوت ولكـن.. يـا جميـع الشرفـاء.. يـا جميـع الأصدقاء ارفعـوا أصواتكم من أجـل شعبي إننا نطلب مـن أعماقكـم صيحـة حـب ورصاصـة يا جميـع الشرفـاء.. يـا جميـع الأصدقـاء ارفعـوا أصواتكـم مـن أجـل شعبـي إن أيـدي المجرمـين القتلـة... مثـل آلاف الأفاعـي زحفـت تشحـذ حد المقصلة فاصرخوا بالقتلة وكانت بعض الأغنيات حزبيـة تشيـد بنضـال الرفـاق ضـد السلطـة الدكتاتوريـة وصمودهـم في السجـون. وكنـا نسجل تلك الأغاني ونبعثها الى العراق ليتداولها المناضلـون سـراً. إن اول انتشـار واسـع لأغاني (فرقـة الطريـق) السياسـية كان في أوائـل الثمانينات من القـرن الماضي عندما قدمت الفرقة أكثـر مـن ثلاثـين حفـلاً جماهيريـاً في لبنـان للمقاومة اللبنانيـة والفلسطينية، وبعد ان سجلت أكثر مـن عشرين أغنيـة في تلفزيـون دمشق. ثم توالـت حفلات الفرقة في سوريـا حيث كنا ندعى سنويـاً الى دمشق لتسجيل أغـان جديدة وتقديم حفـلات جماهيرية،وقد ضمت أغنـات عن صمود الشعـب اللبنـاني والفلسطينـي والسـوري بالإضافـة الى اغنيات عن الواقـع العراقي. ومن تلك الأغنيات: حصار بيروت بيروت... بيروت.. يا ارض الرجولة والفـداء وخندق الشعب الفريد لهفي على الأطفال يلتقتوا كالطير الطريد ذبحتهم المتفجرات من الوريـد الى الوريد يا ناكر الأفراح قلهـا يا حقود مـازال في الأرحام أطفـال لهم فجر جديـد فاضرب.. فلـن يفنـوا.. فهـل يفنى الوجود شـدد حصـارك إن بـيروت البطولة لا تبيـد لسنا نخـاف الطائـرات ولا المدافـع والجنـود وأغنيـة أخـرى عـن مجـزرة صبـرا: امنحيـني الصبـر يا صبرا امنحيني واجعلي الشمس تضيء الآن في شـكل حزيـن واعلنيها للـورى أنـه مهمـا فعلوا ان تخضعـي لا لن تلـيني واكتبي أسـماء من قتلوهم فيك يا صبرا على كل جبين ولفلسطيـن أغنية (كفر قاسـم): يوم قالوا سقطوا قتلى وجرحى ما بكيت قلت فوج آخر يمضـي ومن بيت لبيت و أنا يا كفر قاسـم أنـا لا أنشـد للمـوت ولكن ليد ظلـت تقاوم والـذي في القلب ومن جيل لجيل املأ الدنيا هتافاً لا يسـاوم كفـر قاسم دمك المهدور مـازال وما زلنا نقـاوم وللحـرية التـي يتطلـع لهـا شعبنـا هـذه الأغنيـة: علـى أجسـاد المحرومـيـن... عالـعذابهم بالتيـار عاللـي ماتـوا مصلوبيـن.. عاللـي بدمهم رسمـوا ووردة عالحيطـان الصخريـة... نكتب اسمـك حريـة عالبيبان أكتب اسمـك.. ع الرحلة وعالكراسـات عالبيبـان أكتب اسمـك.. ع المـي وأشجـار الغابـات علـى خارطـة المنوعـات.. ع الكـون وكل القـارات علـى آسيـا.. وافريقيـا.. وامريكا اللاتينيـة علـى أرض العربية نكتب اسمـك حرية استمرت الفرقة بانتاج الأغاني التي تواكـب الأحداث في الوطـن العراقـي والعربي، تشد مـن أزر العراقيـين في الداخـل لمقاومة دكتاتوريـة النظـام البعثي وتذكـر العراقيين في الخارج بضـرورة الالتصاق بوطنهم والعمل، كل مـن مكانـه وبامكانياتـه، في سبيـل الخلاص من ذلـك النظـام البغيـض. استمـرت انتاجاتنـا وانحسـرت امكانية تسجيلها في وسائل الإعلام العربيـة لحين سـقوط النظام في ابريـل ٢٠٠٣. سأتابـع الآن مـا أعرفـه عـن نشاط الفنانـين العراقيـين الآخرين في مجـال الأغنية السياسية. إذا استعرضنـا أغانينـا السياسية، نجـد القليل منهـا عفويـاً، مؤلفهـا وملحنها مجهـول، كما في الأهازيـج (الهوسـات) التـي ظهـرت في ثـورة العشريـن لتمجيـد نضـال الشعـب العراقـي وتحريضـه علـى مقاومة الاستعمـار البريطاني. أما أغـاني السجـون في العهد الملكـي، فلم يوثق لحـد الآن مؤلفها أو ملحنها. بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨، نشط فنانون في انتاج أغان تمجد الثورة ونضـال الشعـب العراقـي فمنهـم مـن تمكـن من تسجيل تلك الأغاني في الاذاعة مثل الفنان (أحمد الخليل) والمونولوجست (فاضل رشيد). وهناك فنانـون لم يتمكنـوا مـن إيصـال نتاجاتهـم الى الاذاعـة. بعـد انتكاسـة ثـورة تمـوز، حوصرت الأغنيـة السياسيـة ومنتجيهـا مـن الشعـراء والملحنـين الذيـن كانـوا مـن الشيوعيين واصدقاؤهـم فقط، واؤكد على كلمة فقط لأن هذه هـي الحقيقة،ممـا جعـل كثير مـن تلـك الأغنيات حزبيـة مباشرة يتداولها الحزبيون فقط. ولم يكن للأطراف الأخرى مبدعون للأغنية السياسية. في بدايـة السبعينـات من القـرن العشرين، وبعـد الانفتاح النسبي للسلطة على القوى الديمقراطية، بـدأت الأغنيـة السياسية تظهر مـن جديد، وظهر فنانون لتلك الأغنيات منهم الفنان (طالب غالي) و (طـارق الشبلـي) في البصـرة و الفنـان (جعفرحسـن) في بغـداد. ومـن أغنيـات الفنـان (طالب غالي) والتي اشتهـرت كثيراً في المهرجان العالمـي للشبيبـة الديمقراطيـة العاشرفي (برلين) هـي أغنيـة (يا شبيبة توحدي): يا شبيبة توحدي لاجـل النضـال وابني مستقبـل بلدنا من الجنوب للشمـال وابنـي من صـرح البطولة وطـن لعيون الطفولـة..... لا حـروب... لا قتـال يـا شبيبـة توحـدي اسـأل التاريـخ عنـا... يحجـي عـن التضحيات عالجسـر مكتوب اسمنـا.. بثورة الحي والفـرات قلب واحـد.. وايد وحـدة.. من الجنوب للشمال يا شبيبة توحدي وللفنان (طارق الشبلي) أغنية مكبحـه التي تجسد نضال المـرأة العراقية: مكبحة ورحت أمشي يمه بالدرابين الفقيرة وسط في وشمس يمـه وأنه من ديرة علـى ديرة وزعت كل المناشير وخبرهم ومن مشيت عيوني ما تيهت دربهم سلمتهـم آخر أعداد الجريـدة بلغتهم باجر الحيطان تحجي بالشعار اللي نريده بلغتهم باجر الما يدري يدري يهتف وينشر قصيدة باجر عيون الرفاكـة تصيـر كمـرة باجر زنـود الرفاكـة زنود سمرة وللفنان (جعفر حسن) العديد من الأغنيات، أغلبها عن الطبقة العاملة، ومنها أغنية (أبو علي) اليمشي بدربنا شيشوف.. يا بو علي لو موت لو سعادة واحنا دربنـا معروف... يابو علي والوفه عدنـا عادة ولو طاحت الكاع بضيم.. نصعد على اجتـاح الغيم نمطر وفه وسعـادة.. يا بو علي ثم ظهـر الفنـان (سامـي كمـال). ومـن أغانيـه (صويحب) وهي من كلمات شاعرنا الكبير (مظفر النـواب): ميلـن لا تنقطـن كحـل فوق الـدم ميلن وردة الخزامة تنقط دم جرح صويحب بعطابة ما يلتـم لا تفـرح بدمنا لا يا الاقطاعـي صويحب من يمـوت المنجـل يداعـي وللفنـان الراحـل (كمـال السيد) مجموعة من الأغنيات منها: دقوا الأبواب على بغـداد المذنـورة دقوا الأبـواب على بغداد المغـدورة وافتحـوا للـدم الـدرب... خلـوا الـدم يساقي تنزرع الأرض أبطال... بنضالك يا عراقي وللفنان (كوكب حمزة) اغنيتان الأولى عن أطفال العـالم والثانية عن نضال الشعب الشيلي. توالت الأغنيـات السياسيـة مـن هـؤلاء الفنـانـون التي كانت تقدم في الحفلات الحزبية فقط دون التمكن من ايصالها الى الإذاعة. وبعد اشتداد الهجمة من السلطـة علـى القـوى الديمقراطيـة في النصف الثاني من السبعينات، خرج هؤلاء الفنانون، كما نحن، الى خارج الوطن، وكان تجمعهم في (عدن) عاصمة جمهوريـة اليمن الديمقراطية عدا (كوكب حمـزة) مضافا لنا الفنان (فؤاد سالم). فسحت لنا جميعاً (اليمن) بانتاج أغان سياسية مباشرة ضد النظـام وغير مباشرة. تواصل انتـاج العشرات من تلـك الأغنيـات خاصـة بعـد سفـر الكثير من الفنانـيـن الى لبنـان ثـم سوريـا وتقـديم الأغاني السياسيـة المتعـددة المضامين حـول العـراق وفلسطين ونضـال شعـوب العالم نحـو الحـرية والديمقراطيـة. اسـتمـر الفنانـون المذكـورون بانتـاج الأغـاني السياسيـة، أضيـف لهـم الفنان (فـلاح صبـار)، عدا البعـض الذي قـل انتاجه أو جفت قريحته أوترك الأغنية السياسية، استمروا بالإنتـاج حتـى بعد سقـوط النظـام الدكتاتوري والى الآن. نعـود الى مـا ذكرتـه في المقدمـة مـن الحافـز الـذي دعاني لكتابـة هـذا الموضوع وهو قول أحد المستضافين في احدى الفضئيات بأنه لا توجـد اغنيـة سياسيـة في العـراق. فبعـد هـذا الاستعراض للكم الكبير من الأغـاني السياسية، هـل يمكن لأحد ان ينكر علـى الفنانين ذلك الإبداع المتواصل للأغنيـة السياسيـة في العـراق؟ علماً بـأني ذكرت نمـاذج قليلـة فقط من تلـك الأغنيات التي ما زالت محفورة في ذاكرة الشعب العراقي.، وعـذراً للفنانـين علـى ما أغفلتـه أو نسيتـه أو لم أعلمه مما وجب

طالب غالي: الأغنية العراقية اليوم باهتة

طالب غالي هو أحد عمالقة التلحين في الغناء العراقي، حيث تميز بتلحين القصائد الكبيرة والمؤثرة مثل قصيديتي غريب على الخليج وانشودة المطر للشاعر بدر شاكر السياب وقصيدة يا دجلة الخير للشاعر محمد مهدي الجواهري، فضلاً عن تلحينه للكثير من القصائد الغنائية الشعبية.

غالي الذي يكتب الشعر الفصيح أيضاً وله أكثر من ديوان مطبوع في هذا المجال ورغم أنه يعيش في الغربة، لا يزال يواصل دغدغة أوتار عوده ليصوغ ألحاناً جديدة.

ويرى غالي في لقاء خاص مع الخليج أن الأغنية العراقية اليوم باهتة، إلا أنه أبدى تفاؤله بأنه سيأتي يوم يعلو فيه الفن الراقي والملتزم ويذهب الزبد جفاء.وتالياً تفاصيل اللقاء:

زيدان الربيعي

هل من جديد لديك في عالم التلحين؟

نعم هناك ألحان جديدة ومنها إسكتش للشخصية الشعبية المعروفة توما ن شعر الدكتور عبد الستار البيضاني وكذلك هناك لحن للقصيدة الرائعة لابن زريق البغدادي لا تعذليه فإن العذل يولعه وغيرهما.

هل بالإمكان في ظل حالة الفوضى التي تضرب الغناء العراقي صنع لحن كبير جداً؟

هناك تراجع ملحوظ في الذائقة الموسيقية وفوضى وصخب وفقدان الحس الفني الجميل لمعظم النتاجات الفنية المطروحة على الساحة، لكن هذا لا يمنع من إبداع عمل فني يسمو على هذا العصف المتساقط والمتهافت من الأغاني، وأنا على أمل كبير بأن سيأتي يوم يعلو فيه الفن الراقي والملتزم ويذهب الزبد جفاء.

هل تظن أن الأغنية العراقية تتعرض إلى ما يشبه المؤامرة لمسخ ماضيها الجميل؟ وما الجهة التي تقود هذه المؤامرة؟ وكيف يمكن التصدي لها؟

بالطبع هناك من يسعى لهذا الهدف لمحو القيم الجميلة والذوق الرفيع وإسقاط كل التطلعات لفن هادف ذي قيمة فنية وشعرية. وأنا لا أستطيع تحديد جهة معينة فهناك أكثر من جهة تجمعها غاية ومصلحة تسعى لتحقيقها، والتصدي لهذا المستوى الهابط والمتدني يحتاج إلى زمن ليس بالقصير وإمكانات دولة ووضع خطة عمل لمنهاج ينفتح على الموسيقا الراقية وتربية الذوق لدى الجماهير فضلاً عن مراقبة الأعمال المتهافتة لمنعها وتشجيع الأعمال الجيدة.

كيف ترى الأغنية العراقية اليوم؟

أراها باهتة، سيماؤها الصخب والتشابه الممل، وقد تقفز من بين هذا الركام المستفز أغنية ترتاح لها النفس والوجدان.

كيف تتعامل مع النص عندما تريد صياغة لحن له؟

عادة أعيد قراءة النص الشعري مرات ومرات لأتلمس جوانب الجمال فيه ووحدة الموضوع والمعنى الحسي والوجداني الذي يختفي وراء الكلمات، وأختار له اللحن الذي يليق ويتواءم معه مع الإيقاع المناسب.

ما اللحن الأبرز في مسيرتك الغنائية؟ وما خصوصيته؟

هناك أكثر من لحن.. أوله اللحن الذي عملته لأوبريت المطرقة الذي قدمناه في بغداد في العقد السبعيني من القرن المنصرم، أما الثاني فيتمثل بقصيدة غريب على الخليج للشاعر الكبير بدر شاكر السياب والتي غناها فؤاد سالم، في حين أن اللحن الثالث هو قصيدة أنشودة المطر للشاعر السياب أيضاً وزمنها ٣٠ دقيقة فضلاً عن ألحان أخرى كثيرة.

الغربة ماذا إفادتك وماذا أخذت منك؟

الغربة عالم متداخل فيه يتوهج الحنين ويتموج الإحساس بالغربة وفيه الأمان واحترام الإنسان وإحساسه بآدميته وقيمته والعمل من أجل راحته وسعادته.

الغربة أفادتني بأن جعلتني أطلع على نتاجاتها الثقافية والفنية، وأن أستمتع بمشاهدة الأعمال السيمفونية العظيمة وأطلع على كيفية التعامل مع الفنانين والأدباء والمفكرين، لكنها أخذت مني أحلى أيام العمر.

من المطرب الذي أوصل ألحانك إلى الجمهور بأمانة؟

وحدُه المطرب الرائع الكبير فؤاد سالم.

هل هناك مطرب ما تمنيت منحه لحناً من ألحانك ولم تفلح؟

كان حلما بعيد المنال تمنيت أن يغني لي الفنان ذو الصوت الشجيّ عبد الحليم حافظ أحد ألحاني وقد كان مجرد حلم.

هل هناك لحن لغيرك تمنيت أن يكون لك؟

كلا.. فاللحن هو إبداعه الخاص.. وأنا أحب أن أقدم لحناً من إبداعي.

أنت نجحت في تلحين الأوبريت الغنائي، فهل من تجربة جديدة في هذا المجال؟

الظرف الآن غير مهيأ لمثل هذا اللون من الموسيقا والغناء لأسباب عديدة.

لديك اهتمامات وإصدارات في الشعر، ما الدواوين التي أصدرتها في هذا المجال؟

صدر لي ديوانان هما حكاية لطائر النورس، وتقاسيم على الوتر السادس.

كيف تصف تجربتك مع المطرب فؤاد سالم؟

إنها تجربة رائعة وفريدة من نوعها. فالروابط التي تربطنا كثيرة ومتنوعة، وبيننا أكثر من لغة مشتركة تشدنا لبعضنا بعضاً.. ويفهم كلانا الآخر.

من أبرز المطربين الذين تعاملت معهم؟

أهمهم وأبرزهم وأجملهم ذلك هو المطرب الكبير فؤاد سالم.

هل هناك من أولادك من سار على نهجك؟ وكيف تراه؟

العائلة أغلب أفرادها لديهم استعداد موسيقي عال.. فابنتي البكر لنا قدمت الكثير من مقدمات مسلسلات الإنتاج البرامجي المشترك.. وابنتي الثانية سنا تمتلك صوتاً جميلاً وقد غنت إحدى مقدمات مسلسل جبومبو أما ابني فنار فقد درس الموسيقا في الدانمارك وهو يمتلك صوتاً جميلاً بمساحة صوتية كبيرة ويقدم نشاطاته مع فرقة دانماركية تعزف الأغاني التراثية العراقية وقد ألف موسيقا لبعض الأفلام وأقام العديد من الحفلات في الدانمارك.

ج. الخليج

طالب غالي.. أغنيات العراقي المهذب وأناشيد منفاه

في مدينة السياب، التي كانت شهدت انفتاحا فكريا وثقافيا واسعا بدأ منذ خمسينيات القرن الماضي، بدأت إطلالته على الثقافة وعبر جناحين: الشعر والموسيقى، فمع الأول نتذكر قصائدة الأولى في غير مجلة أدبية وثقافية رصينة، بينها مجلة «الكلمة»، ثم ديوانه «حكاية لطائر النورس» ١٩٧٤، ومع الثاني، نتوقف عند نتاج غني، بدأ ١٩٦١ مع فرقة «إتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية»، كعازف ومطرب، ثم أصبح عضواً في «الفرقة البصرية» التي تشكلت عام ١٩٦٤، وكتب لها ولحّن أغنيات لم تظل على نطاق ضيق داخل قاعات البصرة ومسارحها، انما عبرت الى أفئدة أجيال شابة، كانت تغذ الخطى، كما بلادها، نحو المعرفة، وتعتبر الفنون الجميلة والثقافة المعاصرة التقدمية، هوية لا بد من تحقيقها.

لاحقا، وفي أجواء من الإصرار والتحدي والتجديد التي عرف بها جيل الستينيات الثقافي في العراق، أنبثقت فكرة تقديم «أوبريت» غنائي ضمن عمل موسيقي رصين، يتخطى شكل الأغنية الفردية الذي يكاد يختصر النتاج النغمي الشعبي، فكان أوبريت «بيادر خير»، الذي صار علامة مؤثرة في تاريخ المسرح الغنائي العراقي، وشارك فيه غالي. وعبر نجاح لافت لذلك العمل، اتجهت النية الى ثان لا يقل أهمية عن الأول، فكان أوبريت «المطرقة» الذي قدم في ١٩٧٠/٥/١ بمناسبة «عيد العمال العالمي».

الحدث المسرحي الغنائي الذي صاغ ألحانه طالب غالي، شهدته «قاعة الخلد ببغداد»، وهو المكان الذي سيشهد، ولكن بعد نحو تسع سنوات، مجزرة حقيقية صارت مدخلا لعصر الطغيان الرهيب، حين أعدم صدام حسين عشرات القادة في حزبه، ممن كانوا حضروا الى القاعة على اعتبار انها ستشهد مؤتمرا طارئا للبعث الحاكم. وفي العام ذاته، أي ١٩٧٩، كانت حفلة الإنفتاح السياسي والفكري التي شهدتها سبعينيات القرن في العراق، قد شارفت على النهاية الدموية، ليبدأ الملحن والشاعر طالب غالي، مشوارا آخر إنسانيا وفكريا أسمه: أناشيد المنفى.

على الأرجح نظر طالب غالي، مطولا الى ثنايا روحه المسكونة في بيت الأمال والأحلام، قبل أن يقرر الرحيل عن البصرة ليتوجه إلى الكويت، وفيها يبدأ مشوارا ممتزجا بالأشواق والأمل والشجن عبر مزيج من الألحان التي جاءت ضمن ثنائي سيجمعه بأبن مدينته وفكرته: المطرب فؤاد سالم، ويتواصل الى خمس وعشرين أغنية، بينها رائعتا الجواهري « دجلة الخير» والسياب «غريب على الخليج»، ثم ينقطع هذا المشوار، اذ يترك غالي الكويت، بعد ملاحقة الكابوس الصدامي، الى الأردن، ومنها الى الأتحاد السوفياتي السابق، ثم الى الدانمارك مستقرا دائما وملاذا.

عادة ما يقترن «الغناء الختلف» أو ما اصطلح عليه «الغناء السياسي أو الوطني او المقاوم» بغلاظة في النبرة وحماسة خارجية واستعراضات فكرية وشعبوية وحزبية ان شئنا الدقة أكثر، الا انه مع الوسيم في لحنه ونبرته وجوانيته الشاعرة طالب غالي، يأخذ طابعا روحيا عميق النبرات والحاني على النفوس. هذا مثلما هو جوهر عمله الشخصي في الموسيقى الا انه ابعده عن «التعبوية» السياسية والحزبية. انه ربح ذاته وجعل ألحانه تقطر عذوبة حتى في نشيدها المجروح مع وطن مثخن بالجراح وانسان أخرج من مداره الإنساني عنوة.

أغاني الطريق.. أغاني الفرح والناس

كمال يلدو

ثلاثون عاما على كراس «اغاني الطريق»

حينما أزف نهار الأثنين، الحادي والثلاثين من آذار هذا العام، كان قد انقضت ٣٠ عاما منذ ان صدر في مدينة ديترويت الأمريكية كراسا حمل عنوان «اغاني الطريق»، جمعت فيه مجموعة من الأغاني الوطنية والسياسية والتضامنية (١٥٧ اغنية) التي كانت متداولة في عهود مختلفة: الملكي، والجمهوري، وأخرى من اواسط السبعينيات، ومجموعة تندد بالبعث وأخرى عن حركة الأنصار، اضافة للعديد من الأغاني الأممية المترجمة للعربية. اشرف على الأصدار في حينه كل من الأتحاد الديمقراطي العراقي في الولايات المتحدة و رابطة الطلبة العراقيين، وطبعت منه كمية جيدة جرى توزيعها في المدن الأمريكية والكندية، وأرسلت كميات اخرى للتجمعات الطلابية والشبابية العراقية في الدول الأشتراكية وقتها وفي أنكلترا وأستراليا واليمن ولبنان وسوريا. وعبّر العديد ممن تصفحوه عن تقدير للجهود المبذولة بجمع هذا القدر من الأغاني، فيما قدم الملحنان الكبيران طالب غالي وحميد البصري ملاحظاتهما عنه. ومازال العديد من الفنانين والموسيقيين في بلاد الاغتراب يعتبرونه كنزا ثمينا، يسهّل عليهم مهمة تداول الأغاني الوطنية العراقية.

لماذا الكراس

كانت مدينة ديترويت (والعديد من المدن الأمريكية) تغلي نشاطا مع بداية عقد الثمانينات، اولا بسبب وجود تجمع وطني تقدمي للعراقيين، هو الأتحاد الديمقراطي، وثانيا بسبب وجود المنظمات الوطنية الفلسطينية و اللبنانية واليمنية، وثالثا بسبب ارتفاع درجات التحدي لمرتزقة البعث في بعض المدن الأمريكية، إزاء اعمال البعث بجرائمه تجاه الشعب وقواه الوطنية في العراق. كانت هذه العوامل كافية لجعل نشاطاتنا تغلي بالروح الوطنية والثورية الوثابة (ومازالت لليوم)، فكانت تتعالى هتافات وأصوات زملائنا المناضلين من عقود الخمسينيات، فيما كانت مجاميع اخرى تطلق العنان لحناجرها بالغناء لنضالات الوطنين العراقيين، مضافا اليها مجموعة الأغاني التضامنية الأممية سواء مع الشعب الفلسطيني او مع الشعوب المكافحة الأخرى. وقد ساعدنا في ذلك تأسيس فرق موسيقية من فنانين ينحدرون من عوائل كان لها رصيد نضالي كبير في مقارعة انظمة الأستبداد ومنها البعث من امثال الفنان ماجد ككا وفرقة بيلز، الفنان عميد اسمرو وفرقة الشمس، الفنان ماجد زنكلو، والفنان توماس وفرقة الأخوان، اضافة الى فنانين وفنانات كانوا يشاركون في احياء المناسبات الوطنية والأممية الكثيرة التي كانت يجري الأحتفال بها مثل ٨ آذار عيد المرأة العالمي، ٣١ آذار تأسيس ربيع الحركة الوطنية، ١ أيار عيد العمال العالمي و ١٤ تموز ذكرى ثورة الشعب العراقي، ناهيك عن المناسبات الاجتماعية وغيرها. كانت هذه الأغاني تجد لها جمهورا كبيراً من المستمعين. ففرضت الحاجة نفسها لتسهيل مهمة المستمع (المشارك) والفرق المؤدية لهذا الفن الذي لم يكن منتشرا بكثرة، فجاء الكراس معينا كبيرا لفهم الأغاني وحفظها وتوسيع رقعة تداولها. والحق يقال انه ادى مهمته بنجاح، ورغم كل هذه السنين التي مضت، فأن العديد من فناني الجالية مازالوا يحتفظون بنسخا منه، وأحيانا يطلبون نسخا جديدة.

تاريخ مجيد

نتيجة لأوضاع العراق السياسية المتقلبة، فان تاريخ الأغنية السياسية لم تكن له مرحلة محددة، لكن يمكن افتراض فترة الخمسينيات وبالتحديد في السجون التي كانت تغص بالشيوعين واليساريين والوطنيين الأخرين، فنبتت اولى نبتات هذا الفن الجديد، اذ ان العراقيين تعودوا على القصائد والهتافات او الأهازيج كما تذكر كتب التاريخ. ومع انبلاج فجر ثورة ١٤ تموز وظهور المنظمات المهنية إلى العمل العلني، وانتشار الاحتفالات الوطنية والشعبية، وتبني الدولة للخط الوطني، فأن اغان جديدة ظهرت في الاذاعة العراقية، وفي اوساط المثقفين والأوساط الشعبية، وصار لهذا الفن رواده ومريديه. ومع تبدل الأنظمة، وتباين درجات القمع، تباينت هذه الأغاني في اسلوب محاكاتها للواقع. على ان اروع ما يسجل للشعراء العمالقة، اتباعهم اسلوب (الرمز) او (الألتفاف بحجة الحبيبة) لمناغاة الشعب او الحزب، فظهرت عشرات الأغاني التي كان ظاهرها الحبيب والحبيبة بينما باطنها كان الحزب الشيوعي والشعب. ويمكن ايراد بعض الأمثلة: ليل البنفسج للشاعر مظفر النواب، هوى الناس للشاعر زهير الدجيلي، حاسبينك للشاعر زامل سعيد فتاح، وأغاني كثيرة كتبها الشعراء ابو سرحان، كاظم السعدي، عريان السيد خلف، جمعة الحلفي، اسماعيل محمد اسماعيل، زاهد محمد، رياض النعماني، علي العضب، كريم العراقي والقائمة تطول كثيرا. ومثلما كانت مهمة الشاعر صعبة، كذلك كانت مهمة الملحنين من امثال أحمد الخليل حميد البصري، كوكب حمزة الراحل طارق الشبلي، طالب غالي، جعفر حسن، كمال السيد، سامي كمال، وأخرين غيرهم. اما مهمة المغني الذي كان يواجه الجمهور والمؤسسات الحكومية فقد كانت اصعب بكثير نتيجة تأديته مثل هذه الأغاني، ويمكن ذكر بعضهم: فؤاد سالم، شوقية، كوكب حمزة، كمال السيد وسهام حسن وأخرين غيرهم. لقد سمعنا عن الكثير من الأغاني التي منعت من البث، او المغنين الذين حرموا من الأذاعة والتلفزيون وحوربوا ايضا بسبب اغانيهم الوطنية او مواقفهم الرافضة لسياسة البعث او الأنظمة الفاسدة الاخرى فتحملوا الظروف الصعبة والحرمان على المساومة. لكن يبقى التاريخ شاهدا على انه ما من حركة سياسية عراقية استطاعت استقطاب الفنانين والشعراء والملحنين، مثلما استطاع الحزب الشيوعي العراقي مباشرة او من خلال اصدقائه ومؤيديه، الذين يعتبرون امناء على الثقافة والفكر الوطني الخلاق.

العصر الذهبي

تبقى فترة السبعينيات تشكل اكبر انعطافة في صعود نجم الأغنية الوطنية العراقية متمثلة بأوبريت (المطرقة) و (بيادر خير- الحان طالب غالي)، والحان كوكب حمزة، وبروز فرقة جعفر حسن (الرواد) ثم (بيلز في السبعينيات)، واقامة المهرجان الأول للأغنية السياسية، ناهيك عن المد الجماهيري الكبير وحملات التضامن الأممية والعربية، مع تزايد نشاط المنظمات المهنية الوطنية (اتحاد الطلبة، اتحاد الشبيبة و رابطة المرأة) التي كانت مدارس نضالية ومختبرات لصقل مواهب الشبيبة من خلال الأماسي البيتية او السفرات.

ولأن ظاهرة مثل هذه تمكنت من استقطاب الشباب والشابات لم ترق للنظام البائد، فقد حوربت وحورب الفنانين والملحنين والشعراء، ومنعوا من دخول الأذاعة والتلفزيون، حتى توج الارهاب مداه في الأعوام ٧٨-٧٩-١٩٨٠، بدفع العديد من الفنانين والملحنين والشعراء إلى مغادرة الوطن بحثا عن الأمان. على ان الروح الوطنية الوثابة والظروف الجديدة دفعت بالعديد منهم الى اعادة تكوين تلك الفرق من جديد. فنشطت فرقة «الطريق» في اليمن، فيما كانت دمشق وبيروت مسرحا للعديد من المحاولات الجادة اما لتشكيل الفرق، او لطرح الأغاني الجادة، واستمر هذا المد وصولا للالتحاق بحركة الأنصار، والتغني بتضحياتهم وكفاحهم.

لكن بانتهاء عقد الثمانينات، خفتت جذوة الغناء السياسي، ودخلت مرحلة سبات طويلة امتدت حتى اليوم، الا فيما ندر من محاولات فردية غنت للوطن، ولم تجد مناخا مواتيا للأنتشار، اما بسبب بساطة الآلات الموسيقية، او لرداءة التسجيل والتصوير، او بسبب القصور في فهم دور (التسويق) والنشر عبر المواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي، فبقيت حبيسة تلك المناسبات فقط.

حتى نسد الطريق على اعداء الفرح

يقف العراق اليوم، ونقف نحن معه على اعتاب واحدة من اخطر مراحله السياسية والثقافية والفكرية والأجتماعية الناجمة عن الخراب الذي حل بالبلد نتيجة استبداد واستهتار النظام البائد، وتخبط المسؤلين في النظام الجديد، وموقفهم السلبي،ان لم يكن المعادي للثقافة الوطنية العابرة للطائفية او ضيق الأفق القومي، فجاءت مشاريعهم الثقافية عبر الوزارة، او عبر شبكة الاعلام العراقي، ناقصة وموسمية وبلا اي افق وطني.

في هذا المشهد البائس، والمخيب للأمال، والباعث على التشائم، تبرز الحاجة لتوجيه النداء الى المثقفين، والمغنين، والى «الحزب الشيوعي العراقي»، الذي يحتفل بالذكرى اليوبيلية الثمانين لتأسيسه، ليتحمل مسؤوليته التأريخية في الحفاظ على هذا النوع من الغناء السياسي الوطني، مثلما كان حاضنا للمثقفين والشعراء والكتاب والموسيقين والرسامين والمسرحيين والملحنين، على مر تاريخه المجيد، برغم كل جراحه ومحاربة الأنظمة الدكتاتورية والمستبدة له.

هذه مسؤوليتكم، آمل ان تنهضوا بها

ان هناك مسؤولية تاريخية تطرح نفسها اليوم في ظل انعدام الدعم الحكومي الرسمي، وتفشي حالة الفوضى الثقافية، خاصة في مجال الغناء الذي انحدر مستواه درجات كبيرة. هذه المسؤولية عن حماية الثروة الثقافية العراقية من التبعثر، وحماية النتاجات الانسانية للشعراء، والملحنين، والفنانين الذين ينيرون ظلمات هذا العالم بابداعاتهم الباعثة على الأمل. ولأن هناك تقصيرا صار واضحا وجليا للكل، فان الوقوف منه موقف المتفرج، لا يقل ضررا عن موقف المسؤولين والمعنيين. من هنا لا بد من طرح خطة بديلة، ترتكز على عمل نظامي ومهني وبصبر وخطة عمل مدروسة ولفترة طويلة قد تمتد لسنة او سنتين او اكثر. وحتى لا تكون مثل هذه المشاريع ناتجة عن رد فعل عاطفية طارئة او بصيغة مبادرة او تكليف شخصي، فان الحاجة (والتجربة) تدعو لتشكيل لجنة، توضع لها خطة ويرصد لها المال الكافي وتعزز بكادر متخصص، تكون مهمتها على مراحل تبدأ بجمع الأغاني الوطنية العراقية على مدى ٥٠ او ٦٠ سنة خلت او حتى اكثر، وأرشفة شعرائها وكلماتها، وكتابة الحانها وتثبيت اسماء الملحنين، وتهيئة الظروف لاعادة غنائها وتصويرها تصويرا محترفا، وطرحها للسوق اضافة الى نشرها في شبكات التواصل الأجتماعي واليوتوب. ويرافق ذلك اطلاق موقع الكتروني يضم كل هذه النتاجات الغنائية والألحان والكلمات من اجل تسهيل ايصالها الى كل اركان العالم. وحيث يتواجد عشاق هذا الفن الانساني. ويمكن الاستدلال بتجربة الأخوة في (المقام العراقي) حيث طرحوا خير نموذج وأفضل مثال في العمل الكبير الذي قاموا به، من خلال ارشفة المقام والمغنين والكلمات والألحان ومزجها بنماذج من الغناء.

هذا العمل هو وحده الذي سيضمن بعدم ضياع هذا الارث الثقافي المهم. وبغية تفادي اية اشكالات أمل ان يؤخذ بنظر الأعتبار، في حالة اختيار المكان، توفر الكادر والعدد والطاقة الكهربائية والأمان. اما بالنسبة للتواصل، فان شبكة الأنترنيت كفيلة بربط الناس ببعضها البعض ايا كانت المسافات. وعندما ينطلق هذا المشروع ويرى النور، يمكن توجيه الدعوة والاستعانة بالكثير من الوجوه المعروفة في شبكة (اليوتوب) والتي تقوم بعمل وطني كبير في المحافظة على الغناء والتراث العراقي من الضياع.

من هم الأجدر منكم

نعم، هناك اغاني فذة، وشعراء رائعون وملحنون ابدعوا وفنانون كبار غنوا للوطن، للأنسان وللعراق وللأرض، غنوا للسلام وللتعايش والمحبة، غنوا اغانيهم بالعربية والكردية والسريانية والتركمانية. فهذه أمانة وعلينا ان نجازيهم بالوفاء، ومثلما استمتعنا بنتاجاتهم الحلوة على مدى عقود من السنين، أمل ان نكون بمستوى المسؤولية لانجاح هذه المبادرة، التي اتصور انها ستكون ملهمة حتى لجيل الفنانين والشعراء والملحنين الشباب، الذين حرمتهم انظمة التخلف والقهر من ان يغترفوا من منهل الغناء الوطني الصافي.

فاذا كان المشهد كما ترونه وتعيشونه كل يوم، وإن لم يتحمل الوطنيون والشيوعيون وأصدقاؤهم هذه المسؤولية.. فمن يا ترى الجدير بتحملها!

في اجواء العيد سيكون جميلا لو وضعنا الأساس لمشروع وطني كبير ومسؤول مثل هذا، ولابأس ان يكون كراس «اغاني الطريق» لبنته الأولى.

× ملاحظة: قد اكون نسيت عن طريق الخطأ، اسما او اسماء من الشعراء او الملحنين او المغنين، او قد اكون قدمت احدهم على الأخر، اعذروني ايها الأحبة، فهذا ليس قصدي ابدا ابدا. ان قصدي هو الدعوة للحفاظ على غنائنا الوطني من التبعثر والأهمال والتشتت، وعند ذاك، وعند ذاك فقط، سوف لن ننسى ايا من القامات والناس الرائعين الذين اطربونا بشعرهم، او بلحنهم ام بغنائهم طوال هذه السنين – الجميلة- والعجاف.

صورة طالب غالي في البصرة

طالب عبدالعزيز

في بيت من بيوتات اليهود المهجورة بالبصرة القديمة،على نهرطران،في الربع الأول من سبعينيات القرن الماضي،ومع حشد من العمال والفلاحين والطلبة والمعلمين يتقدمهم صف من الكبار،يرتدون بدلات زرق بأربطة حمراء،لم أرهم من قبل،في بيت زين للتو بأشرطة ملونة وصور كثيرة لطالما شاهدتها في الكتب الصادرة عن دار التقدم،لم تكن الإضاءة كافية في البيت كي أتبين الجميع،لكني عرفت وفي وقت متأخر أن من بين الذين كانوا يجلسون في الأمام أسماء مثل أبو زيتون،أبو جماهير،أبو ثابت..

في البيت هذا،ولأول مرة سمعت باسم طالب غالي،وهو يغني أغنية حسين جاسم (الفرحة طابت يا هوى والسعد غنى- بدر الليالي استوى ونوّر محلنا،تالفت القلوب –محبوب مع محبوب-.لليلنا يعدي والنهار ما ندري عنا) هناك رأيته،ثمة حزب يحتفل بذكرى ميلاده، وكان طالب شعلة فرح كبير،في نهاية السهرة قال لي بأنه يريد فسيلا برحيا،من بستاننا الكبير لحديقة بيته الصغيرة،قلت:نعم،هو لك، لكنه غادر ولم يعد إلا بعد ثلاثين عاما.

ترى كيف نتحدث عن طالب غالي،الشاعر والفنان والموسيقي والملحن، ولم لا نقول أنه واحد من الذين تعلمنا منهم أبجديات كثيرة،ليس أقل منها الحب،الذي منه حب الناس والوطن،والوفاء الذي منه للأهل والأصدقاء،والأمل الذي منه الأيام المقبلة، والنور الذي منه القمر والنجوم والجلنار..وهو الذي علمنا الموسيقى التي منها خرير الماء في الجداول،الجداول التي تتفرع من نهر الخورة وتسقي مئات الدونمات الزراعية التي كنت تسور بيتهم في المناوي،ليس (المناوي لجم)،القرية التي ما زال النخل يحف بعض بساتينها إنما (المناوي باشا)،حيث ولد وحيث تغرّب وعاد إليها،طالب غالي النورس الأبيض الذي علمنا أن الجمال صنعة لا يحسن ترديدها إلا الراسخون في حب أوطانهم،في حب بني جلدتهم.

في واحدة من التحديثات التي يجريها موقع (google) على واجهته نقرأ،وبالمصادفة في اليوم،الثالث عشر من آذار- مارس عبارة تقول:(ذكرى ميلاد الموسيقار محمد عبد الوهاب) وهناك صورة لعوده ونظاراته يستطيع كل متصفح عربي قراءتها،فيتذكر الصوت الخالد الكبير والألحان العظيمة التي تركها العملاق العربي،ترى لم لا نتذكر طالب غالي،ومعه ما لا نحصي من الأسماء والنجوم التي زينت سماءنا زمنا،وهو الذي ترك لنا أجمل الألحان،من منا لا يتذكر أوبريت (المطرقة) الذي لحنه غالي،من منا لم يرقص (الهيوه) أنذاك مع جوقة الراقصين الذي حلموا معنا بوطن كبير، يرقص فيه الجميع فرحا وزهوا،من منا لا يتذكر أوبريت (بيادر خير) وقد عمل على تلحين العديد من لوحاته،ومن منا لم يغن: (عمّي عمّي يبو مركب يبو شراع العالي)،وهو الذي لحن للسياب العظيم (غريب على الخليج)أيام كان مغتربا في الكويت،ثم لحن له(أنشودة المطر)،وكذلك كان مع الجواهري في (دجلة الخير)، وهناك العشرات من القصائد التي لحنها للشعراء مثل محمد سعيد الصكار وعبد الكريم كاصد وخلدون جاويد وغيرهم.

لكني أحتفظ له عندي مع ما أحتفظ له عند الآخرين بأشياء ظلت معي سنوات وسنوات،ففي يوم من أيام العام ١٩٧٧،قبل النكسة بسنة،السنة التي طارد بها النظام السابق رفاقه والتي أضطر عندها مع من أضطر إلى مغادرة العراق، أتذكر أني رأيته في مكان هو اليوم قبالة أستوديو ستراك،المصور الأرمني،عند مدخل الشارع الوطني،خائفا مثلي،يلملم أوراقه،يرزم حقائبه،يمّني نفسه بساعات أكثر، قبل أن يُلقى عليه،لم نقف طويلا ساعتها لأن النظّارة من العسس والبعثيين كانوا في كل مكان،وفي وداع قصير جدا اختفى غالي،توارى وسط حشد الخائفين،لكني بقيت أتقصى أخباره عند الذين لم يسافروا، ثم انقطعت نهائيا،قبل أن يدخل البصرة سرّا،عبر ألحانه التي كان يؤديها فنان الشعب فؤاد سالم،وهي المرحلة الأدق في حياة الفن العراقي –البصري تحديدا.

من هناك قاد الثنائي الكبير (طالب،فؤاد)حملة الحب والوفاء والجمال،حتى أصبحا في كل بيت عراقي،لأن أغاني فؤاد بألحان طالب غالي كانت منشورنا السري الذي ظل يرعب النظام سنوات وسنوات،لكني،لا أعرف كيف أصبحت صورة (فكتور جارا) الفنان التشيلي الذي أعدمه الرئيس بيونشيت مطلع السبعينيات، هي الأقرب لي كي أتخيل طالب غالي،ربما لأن نظام صدام حسين ظل يلاحقه في الكويت قبل أن يغادرها إلى الأردن ومن ثم إلى روسيا وليستقر أخيرا في الدانمارك،قبل أن ألتقيه في البصرة التي ظل يجيئها خفيفا من هناك،حيث الثلج.

ولأن الغربة تخلق وعيها،تخلق صورتها عبر أكثر من نافذة،كان علينا تخيل حياة الفنان بعيدا،أو وهو يبتعد ويجرّب الأفاق،لكننا سرعان ما نمسك بها،في متخيل هو من صنع أوهامنا أحيانا،وهكذا،وعبر متقطع من التذكر كانت بعض الأعمال الدرامية في التلفزيون الكويتي،الذي كان مُشاهدا في البصرة،بل أن الريح الشرقية التي كانت تضايق الناس برطوبتها باتت وسيلة لسماع أصداء نائية،هكذا خيّل لي أنها تحمل صوت طالب غالي أو صورته ربما، ومن منا لا يتذكر المسلسلات الكارتونية المدبلجة للعربية مثل(الحوت الأبيض ولوسي الرائعة) وهي تؤدّي بصوت هدى حسين أو بصوت ابنتيه (لنا وسنا)أعمال كنا نحرص على متابعتها ومشاهدتها ضمن نستولوجيا بصرية،لكأننا نريد أن نستعيد معه صوته الشجي ببحته الأسرة في عوده،الذي طالما جاءني حاملة بسيارته الرينو البيضاء منتصف السبعينيات،اليوم أريد أن أقترب أكثر من المخمل البصري،الذي ظل ينهمرُ على أرواحنا سنوات وسنوات،بعد أن فاء الله علينا بنعمة عودته،هكذا،علّي أعطيه الفسيل البرحي الذي أتعبتني ظلاله ثلاثين عاما.

الشاعر والملحن طالب غالي نخلة من ارض العراق

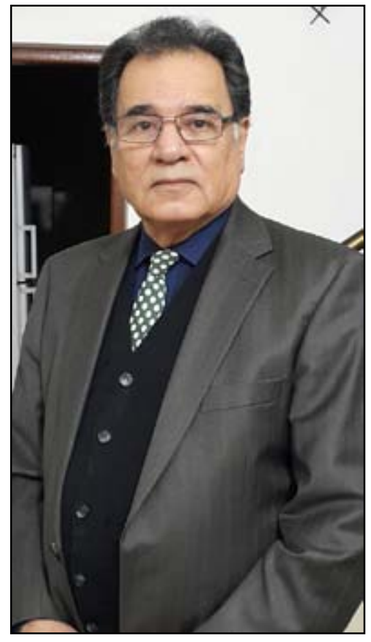

في بلـد الحضارات ولـد الإبداع بأسـماء صناعه الكثر ليظـل مـوروثهـم يحاكي الأزمنة والأجيال ولو أردنا أن نتحدث عـن الغنـــاء ودوره كفـن إنسـاني سنكون أمام ثقافة عاصرت الإنسـانية مذ عرف الإنسـان معنى قيـم الجـمال الذي منحه الله لنـا... ومهما كان الغناء وان تعددت أشكاله فالنتيجـة هي واحدة والهدف واحد هو محاكاة الإنسانية بمشاعرها وعاطفتها...

وهكذا ظـل صناع الفرح من زمن لآخر يتقاسـمون فيما بينهم بث الشـجـــن الموسيقي وترجمة الكلمة المعبرة ليصبـح القلب والفكر يتناغم مـــع هـــؤلاء المبدعين... ومن أريد الكتابة عنـه نخلة من نخيل بلادي أحب البحر وشـط العرب وضل يعشـق الربيع باعتباره هو الحبيب فقدم لنـا حكايـــات مـــن قصص الحياة التي ترجمها بلغة الموسيقى والغناء ليبقى نهر أنغام شـجيـة ذلـك هو طالب غالي نخلـة من نخيـل العراق... لنبحث عن إبداعاته المتعددة..

حيدر شاكر الحيدر

نخيل البصرة ما زال مثمراً.

الكتابة عن فناني البصرة وعطائهم المميز له نكهة خاصة للمتلقي فبعد الكتابة عن رموز البصرة عـلاء كامل وسيتاهوكيبان ومن ثم فـؤاد سالم هـذه المرة تأتي دراستي عـن طالب غالي الشاعر والملحن وقبـل ذلـك هـــو المطرب الجميل الذي مـا زال يغرد للوطـن وللنـاس وللبصرة كيف سأكتب عن نخلة أخرى من نخيل شط العرب هـل سأتنـاول طالـب غـالي ملحنـاً ،شاعراً ام مطربـا ، هل كانت تلك العقود حقاً أساساً ببنـاء شخصيتـه وأرثه الفنـي الكبير المتعدد الأغراض أم إن الغربـة المتعبـة وشجونهـا زادتـه تألقـاً واندفاعـاً نحـو سلم الإبداع المتكرر ، إن من يبدأ مشواره الفني نهايـة العـقد الخمسيني وحتى إعـداد هـذه الدراسة أكيد يستحـق منا كباحثيّن أن نثمن دور هذا الفنـان الخلوق برفـد المكتبة الغنائيـة العراقيـة بذلك الكـم الهائل من الأعمال الخالـدة.. فلحن الأغنيـة وقـدم لنـا القصيـدة المغناة بأبهـى صورهـا وتنـاول الأوبريـت والأغنيـة الوطنيـة وألف للموسيقى ولحن للطفل ، ألا يجـدر بنـا أن نكتب عنك ابا سنـا ودنى ورنا حكايتي معك لا تخلـو من رسائلـي المعبرة عن حبي اليك ولرسالتك التي ما زلت تكتبها ألينا رغم بعدك عنا.

للمبدعين اكتب رسالتي

في بـلاد مـا بـين النهرين ظهر الإشعـاع الفكري والثقـافي بأسـماء صناعـه الكثر ليحاكي العالم الآخـر وبالتـالي تصبح الأسـماء ضـوء ساطع لتتميـز بـه الحضارات الأخرى... وهكذا توارثت الإبداعـات مـن حضارة لأخرى ومـن عصر لآخر لتستمر الأسـماء بكل تفاصيل عطاءاتها رموزاً نكتـب عنها وعما تركتـه لنا مـن ثقافة متعددة الجوانـب التـي نعلم بأهميتهـا بحياتنـا والتي أضحـت الثقافـة الموسيقية جزءاً منهـا ، فثقافة الأدب والتشكيل والمسرح ما هي إلا جمال الحياة وعلاج للنفس البشرية.

لـو أردنـا التعمق بالفنـون عامة سنعلم بقيمة تلـك الفنـون بحيـاة الإنسان مـذ وطـأة قدماه الأرض.. أما الموسيقى والغناء فهذين المؤثرين بوجـدان الإنسـان فالحديث عنهمـا لا حدود له ومـن أبـدع بالموسيقى أو الغنـاء أصبـح رمزاً لأمتـه وولحضارتـه ، ولا يخفـى علـى المثقـف الأسـماء والمنجز لـكل مبدع من عقـد لآخر ، وفي العـراق مـا أكثر مبدعيه مـن الموسيقيين الذين تنـوع إبداعهـم بهـذا الفـن القريـب مـن النفـس ومشاعرهـا وأحاسيسهـا. وكـي لا أبتعـد كثيـراً وأدخـل فـي تأريـخ الموسيقـى والغنـــاء عنـد العراقيين فالحديث طويـل وفيـه من القصص والحكايـــات لهـا عالمها الممتلئ بذلك الإرث الذي لـولاه لما وصلنـا على ما نحن عليـه الآن نتحدث ونفتخر بموروثنا هذا.

القـرن العشرون هو القرن الـذي وثقت به أعمال مبدعينـا وصنفت بـه ثقافاتنا الغنائيـة وبقية تفاصيل حياتنا الموسيقية فظهرت الأغنيـة وظهر الشعـراء وتعـددت أسماء المطربـين والمطربات ومعهـا تنوعـت مـدارس التلحـين العراقي عبر تلـك العقـود وصناعها ، المتابع يـدرك ان مدارس التلحـين العراقيـة كانت حاضـرة بنفوس أبناء المجتمـع العراقي فبعد الغنـاء الديـنـي والمقام وأطـوار الأبوذية والأغنية البغدادية والفولكلور الرصـين وبقية أنـواع الغناء الشعبـي أو ألوانه الكثر المتدة حسب رقعة العراق الجغرافية ما هي إلا صور من ذلك الماضي الذي رأيناه يتجـدد بوجـود قامـات مـن الاسـماء الشامخـة التـي ستظل خالـدة بمسلة التأريـخ الموسيقي والغنائي العراقي.

شكـراً لـكل قامـة إبداعيـة قدمت نفسهـا رمـزاً وتأريخاً لـي أتـي دورنـا نحـن الباحثيّن المتابعين لما كتبـه أساتذتنا وما عاصرنـاه لبعض جوانب الإبـداع الذي لا ينقطع عنـه العراقيون بعطائهم كنهري دجلـة والفـرات وبساتيّن النخيل وهذه هي صورة مبدعينا الأحبة..

حينمـا نكتـب عـن رمز بمجـال معين فذلـك أمر تعودنا عليه خلال دراستنا السابقة والتي تناولنا رموزاً كثيرة وتحديداً الفن الموسيقـي والغنائـي منه وبأسمائه التي تركت ارثها بين أيدينا لنبحث عـن أهميتـه بحياتنـا كباحثيّن أو متذوقين للفن الغنائي والموسيقي العراقي

هـذه المـرة الأمر يختلف عـن سابقاتـه فمن اكتب عنه هو متعدد الإبداع الذي نعرفه ونعلم بأهميته نراه شاعراً وفي الأخرى ملحناً له مدرسته الآتية من موهبته وثقافته هو إضافة لتأريخنا الغنائي الرصين هكذا هو طالـب غالي الشاعر والملحن الـذي درس الموسيقـى عزفـاً وأبدع من خلالها ملحناً وقبل هذا وذاك فهو مطرب ببداية الأمر، من أيـن ابدأ حكايتي مع هذا الرمـز الذي هو احد أعمدة المدرسة العراقيـة والبصرية وبذلك الإبداع الشعري والتلحيني.

تعرفت علـى طالب غالي قبل خمسة وأربعين عاماً حينمـا كنت اردد أغنيـة عاد الربيـع حبيبي بذلك الزمن.. زمـن الأسماء والتـألـق.. زمـن التطور والانتقالية الكبيـرة التـي طرأت بعـالم الأغنية العراقيـة والتـي كانت مستمدة ذلـك التألق من عقود خالـدة مـن الغنـاء بـدءاً مـن مطلـع القرن العشرين ليكـون العقـد السبعينـي هكذا حالـه فسميناه بالعقد الذهبي..

لم تكـن الأعـوام ١٩٦٩-١٩٧٩ مجـرد تحصيل حاصـل بتأريـخ الأغنيـة العراقيـة بـل ظهرت مدارس تلحين وتزامنت بظهور أسماء لمطربين كبار

إضافـة لوجود المطربـات اللواتي بـدأن حياتهن رموزاً كثيرة وتحديداً الفن الموسيقـي والغنائـي مذ عقود قبل ذلك العقد مع استمرار كبار ملحني المدارس البغداديـة بالتواصـل مـع التطـور الغنائـي العربـي والعراقي بمطلـع العام ١٩٦٨ أضيفـت أسـماء لمواهب جاءت مـن مدن العراق الشماء تحمل أفكـاراً أتيـة من ثقافتها الذاتية ومـن خـلال مـا تمتلكه مـن موهبـة أضافـت لنا أشياء كنـا بأمس الحاجـة إليها كمتذوقين لشيء عنوانـه الغناء والموسيقى.

هكـذا استقبلت الإذاعـة والتلفزيـون هـؤلاء الرمـوز أمثـال حميـد البصـري ومجيـد العلي وفـؤاد سـالم وسيتاهوكيبـان وطالـب غـالي من البصـرة الفيحـــاء كمـا استقبلـت حسـين نعمة وحسن الشكرجي وفتـاح حمدان وكمـال السيد مـن الناصرية ، ومن بين تلـك الأسماء يظهر اسم طـالـب غالـــي موضوع دراستي هـذه موهبة لن تتكرر حتى إعداد موضوعي هذا.

فلقـد احتضنتـه الاذاعـة والتلفزيـون مطربـاً وشاعراً وملحناً ممتلـئ بالثقافة الآتية من عمق شـط العـرب وأمـواج الخليج ومـن عمق مدرسة السياب وكل الأسماء التي نعلم بأهميتها بخارطة الثقافة العراقيـة أدبا وموسيقى ومسرح وتراث خـالـد لمدينـة الفراهيـدي والحسـن البصـري.. ليأتـي طالب غـالي مـع زملائه حالـه جديدة ولـه مدرستـه في الحياة الثقافية وتحديداً في الشعـر والغنـاء والتلحين.

متـى ابتـدأت المواهـب لهـذا الفنان الـذي ظلمه الأعـلام والبـاحثيّن كثير وليأتـي العام ٢٠١٦ لأجد حلمي يتحقق وأنا استمع لصوتـه يناديـني بألم وحنين لماذا نسيتمونـي يا أخ حيدر.. وهنا تمالكـني شيء غريب وانا أتحدث مع قامة كبيرة ما بين الفرح والألـم أيضا الـذي يعتصره البكـاء الداخلي قلت له إنني أعرفك ولا أعرفك قبل خمسة وأربعـين عام من خـلال أغنية أحببتهـا وارددهـا مـع نفسـي وأعيـش مع كلامها وهـــي بصـوت سيتاهوكيبـان فـيروز البصـرة هـي أغنيـة عـاد الربيـع حبيبي مـع النـدى إلا إني لا أعرف شاعر الأغنيـة ولا ملحنهـا بسبب ثقافتـي المتواضعـة آنـذاك حيـث كان مـا يهمني هـو المطرب ، إلا إن السنين ومـا أضافته لـي من ثقافـة أدركت شاعر وملحن تلك الأغنيـة الخالدة أو القصيدة الخالدة وبعدها بدأ

الحلم يكبر معي بكيفية اللقاء بك وبأي وسيلة إلا إن الظـروف والمتغيرات الكثيـرة بحياتنـا حالت دون ذلك هل كـان طالب غـالي وشخصيته الثقافيـة حالـة طبيعيـة لمن يريـد البحـث عن الرمـوز العراقيـة أعتقـد لا ، فهـذه الشخصيـة تحمـل جوانب متعددة مـن حالات الإبـداع التي نتحـدث عنهـا فهو الشاعر وهـو الملحن وقبـل هـذا أو ذاك هـو المطرب الذي استهوتـه المدرسة المصرية الغنائيـة فراح يستمع ليجـد حبه لصوت (حليم حافـظ) ومدرسـته ومـن اهتمـوا ببنائها مـن عمالقـة التلحيـن المعروفيّن لدينـا من محمد عبد الوهـاب مـروراً بالسنباطي وصـولاً لكمال الطويـل والموجـي وحلمـي بكـر وبليـغ حمدي ليقدمـوا أجمـل أحاسيس لأجيال مـا زالت تتأثر بهـؤلاء تلك هـي مدرسته الغنائيـة الأولى التي عشقها طالب غالي وما أحلاهـا مـن مدرسـة، إلا إن ذلـك لـم يمنـع ذائقته بحـب مـوروث مدينته البصـرة وأصالـة تراثهـا الخالـد حيـث يعتبر ذلـك جـزء مهـم مـن بنـاء شخصيـة طالـب غالي الموسيقية.

هذه بدايات متميزة بذلك العقد الستيني الذي كان موعد مع مواهب قادمـة من جنوب ووسط العراق وبقية المناطق فمن خلال لجان الاستكشاف كانت أسماء المواهـب تتحـدث عن نفسهـا أمثـال حسـن الشكرجـي ومجيـد العلـي يضـاف إليهـا حميد البصـري وكوكب حمزة والراحلـون فؤاد سالم وفتـاح حمـدان والفنان حسيّن نعمـة وموضوع دراستي طالـب غالـي الإنسان والفنان ماذا قدم لنا غالي لنا كمتذوقيّن بتلك الحقبة الزمنية المليئة بالنجـوم من كلا الجنسين فالتأريـخ يذكر روائع الأعمـال لطالب غالي حيث مـا زالت قصيدته عاد الربيـع حبيبـي والتي قـام بتلحينهـا عمـلاً مـن ابـرز أعمـال سيتاهوكيبـان الذي تتذكـره سيتا ونتذكـره نحـن معاصـري الغنـاء العراقي في عاد الربيـع حبيبي يؤكد طالب غالي علو مدرسته التلحينيـة هنا نجد استخدامه لمقام الكرد بشكله الجميـل ودخولـه لقلـب المتلقـي حيث عـبر لنا بموسيقـى تتلائـم وأجـواء الربيـع التـي نعلـم بهـا وبجمالهـا الخـلاب كيف تعامل مـع الكلمة التـي رسمها بنفسه، كان إيقاع الفالس الشهير يحاكينـا بتلك القصيدة المغناة وأجمل شيء انك تستمـع لعمل غنائـي لا يمـل مهمـا سمعناه وفي هـذا العمـل أبدعـت سيتاهوكيبـان وأثبتت إنهـا مطربة مـن طراز خاص لا تقلد احد ممن سبقوها مـن مطربات العراق لذلك اختارت لوناً يتلائم مـع حنجرتهـا فقدمـت لنـا مدرسـة فيروزيـة عراقية خالصـة خالية مـن التقليـد الـذي نعرفه هكذا هو طالب غالي اعتمد مدرسته بل وضل محافظاً على لون هو من أسسه.

إذن مـاذا بعد عاد الربيـع حبيبي هل هناك شيء جديد يحدثنـي طالب غـالي إن لأحاتـه استمرت مع أصوات مائدة نزهت وفـؤاد سالم وسعدون جابـر (أغنية طـاح النده بكصيبه وحلو حلو) لمائـدة نزهت (وهلله هلـه ياسمه) لسعـدون جابر (وعمـي عمـي يابـو مركب) لفـؤاد سـالم تشكل لديـه بدايته إلا رصانة لتصبـح الأمور آتية لهذا الرائـع كي تأخذ دورها بمساحة العراق وتأريخه الغنائي العـريق.

الأولى وقـد حضر الشعراء أبـو سرحان وكريم العراقي بنصوص تلك الأغاني.

برغـم مضايقة السلطات لـه لـم يكتفي بتلحين الأغنيـة بـل ذهب بتلحيـن اوبريت المطرقة الذي يتحـدث عـن نضـال الطبقة العاملـة في العراق والعـالم ولكـن السلطـات آنذاك منعـت عرض الأوبريـت كما منعت او ربما حذفـت أعماله من أرشيـف الإذاعـة والتلفزيـون وبقي يتحسر على أعماله تلـك وما زلنـا نبحث عـن مصيرها حتى إعداد هذه الدراسة لعلنا نجد شيئاً.

يستمر غالي بحديثه الشيق ليذكر لي أن المدارس أو الثقافـة الموسيقيـة التـي اكتسبهـا أتـت إليـه من خـلال عـدة أمـور أول تلك الأمـور الاستماع لموسيقى العالم الآخر ومدارسه المعروفة من خلال موسيقـى العباقـرة أمثـال بتهوفـن وموتسارت وغيرهـم أولا وكونـه شاعراً وهـو عـارف بتلك العلاقـة بـين الشعـر والموسيقـى والتعامـل مع إيقـاع الشعـر والأهـم مـن ذلـك أجـواء البصرة كمدينـة ثقافـة ومبدعيّن بوجـود أسمـاء أمثـال مـن ذكرتهـم كمجيـد العلـي وحميـد البصري وكوكـب حمـزة والآخرون ومـن خـلال مـا قدمته المدرسة المصرية للذائقـة العربيـة بأعمال خلدت بملحنيهـا وما أكثرهم وما أكثر عطائهم.

فعندما نذكر تأثر غالي بهذه المدرسة يعني التأثر بما قدمتـه مـن أسمـاء عمالقة التلحيّن أمثال عبد الوهـاب والسنباطي وكمـال الطويل والموجـي وبليغ حمدي كل المدارس هذه أثرت بطالب غالي وكمـا ذكرت أيضـا حضرت تأثراته بصوت عبد الحليم حافظ ومـن يتأثر بمدرسة مـا ستنعكس علـى أسلوبـه إن كان ملحناً بعمليـة التلحين إلا إن ذلـك لا يمنـع الاعتمـاد علـى الـتراث العزيـز الـذي يمتلكه العراق من غنـاء او موسيقى وهـذا مـا لمسنـاه بمعظـم إعمـال طالب غـالي المتعددة الأغراض والمواضيع كلمـا اقتربنـا مـن نهاية العقد السبعيني كلما ازدادت المضايقة لهذا الفنان من قبل السلطات لذلك قرر أن يترك الوطن ليجد نفسه في العام ١٩٧٩ بدولة الكويت لتبدأ رحلة جديـدة بحياتـه الفنيـة والنفسيـة والإبداعية ومـن الممكن أن اسميها بالمرحلـة الثانية من هذه المسـيرة والتي استمرت ما يقارب العشرين عـام لتنتهي في العام ١٩٩٠.

المرحلة الثانية رحلة الإبداع ١٩٧٩-١٩٩٠

الصفحـة الثانيـة التـي امتدت لأكثر مـن عشرين عامـاً والتـي حقيقـة مـا هـي إلا عمـل متواصل لهـذا المبدع الذي عبر من خـلال عقدين من الزمن بدولـة الكويـت قـدرة الفنان الحقيقي والملتزم بفنه ورسالته الإنسانية إن لا يأس مع الحياة وان المبـادئ هي ليست ملبس أو مـأكل فهي فكر يظل مـع صاحبـه إلى آخر لحظات العمر.. في الكويت يلتقـي مـع ابـن مدينته البصـرة وأبـن العراق صاحـب الحنجرة الذهبيـة فؤاد سـالم بعد فراق مؤلـم ليكـون الغنـاء والإبداع للاثنـين هويـة لهذين الأسمـين وينتج عن ذلـك روائع غنائيـة كنـا نرددها بعقد الثمانينيات برغـم الحضر على أعمـال هـذان المبدعان فقـد أدى فـؤاد سالم زمن الحان طالـب غالي الأغنيات التاليـة منها (هلي / وأم راشـد / وألي الله / حبيناكـم / ودعونـه / ورائعة السياب غريب علـى الخليج وذلك العمل الـذي اثبت لمتذوقـي الغنـاء العراقي ومحبـي القصائد ان هذا المنجز ما هو الا درس من دروس التلحين للقصيدة حيث كانت لغة السياب وخياله إبـداع مـا بعـده إبـداع لطالب غالـي إن قصيدة غريـب على الخليـج فيهـا مـن الصـور الغنائية المزوجـة بخيال ملحـن وشاعر قـد لا نجد مثله عنـد ملحني القصائد العراقيين أو حتـى العرب فطقوس الخليج وحب العراق قدمهـا لنـا غالي هدية الى متذوقي الغناء.

مـا أجمل الفالس حين يتعامـل معـه طالب غالي وهو يحكي للمستمـع أهميـة هذا الإيقاع الذي قدمه لنـا عبقري الموسيقـى العالمية (شتراوس) وهـا هو غالي عـرف كيف يتعامل بدقـة متناهية مـع هذا إيقـاع ، في قصيـدة الجواهـري دجلـة الخـير والتـي أداهـا ايضا فـؤاد سالم أدركنا إننا إمـام مدرسة خالصة تعرف كيفيـة تنمية الذائقـة حقاً..

إن عقـد الثمانينيات كان عقد الوفاء للوطن والألم فالحـرب غيـرت أشياء كثيـرة وأصبحت أغاني الحـرب هـي مـن تتبـوأ بصـدارة الإنتـاج العام للأغنيـة إلا أن ذلك لم يمنـع مبدعنا غالي من تلحين الغنـاء العاطفـي والغنـاء الدرامي فكان صوت المطرب العراقـي الساكـن بالكويت علـى موعد الحـان غالـي (علـي محمـود) هو ذلك الصوت الذي قدمه غـالي بأغاني (تذكرني والله ما حبيت كبلك) اذن حظر علي محمود وفؤاد سالم وحضر الشعـراء داود الغنام شاعراً غنائياً لحن عشرات الأغاني للوطن بصوت فؤاد سالم.

تستمر رحلـة إبداع طالب غالي مـع اللحن هذه المـرة يوضب تجربتـه التلحينيـة لأعمال تحاكي الطفولة حيث كان تعاونـه مـع مؤسسة الخليـج للإنتاج البرامجي بصمة أخرى حيث المسلسلات لوسي /بومبو/والحـوت / والأوسكار تأريخ له مـن تأليف الموسيقـى والألحـان التـي عرفناهـا بتلك الأعمـال بصوت ابنة الفنـان (سنا).. أضف

◄

لذلك وضع الحان مسرحية الطفولة سندريلا بحدود اثنتي عشر اغنية بصوت سنا أيضاً يوما بعد يوم والإبداع يتجدد والتاريخ يسجل لأصحاب المنجزات بحياتنا ، وماذا بعد يا طالب غالي هل حصل امراً ما في حياتك وحياة العراقيين.

المرحلة الثالثة

يحدثني الرائع إن العام ١٩٩٠ كان عاماً لا يحب أن يتحدث عنه وعن الألم فلقد حصل الغزو للكويت ومع ذلك الغزو وما رافقه من مأسي مما فرضته الظروف ان يهاجر إلى بلاد الغرب ليبتدئ غالي صفحة أخرى من حياته لا تخلو من الوضع الذي لا يحسد عليه الغربة والألم والحنين لسنوات الكويت لم تغب عن مخيلة هذا المبدع...

هذه المرة الدنمارك محطته الثالثة والأخيرة ففي الدنمارك كان يعبر عن حالته بمعشوقته الموسيقى وجمالها الإنسانية معبراً عن ذلك بتلحين رائعة السياب بـ(أنشودة المطر) الذي اعطى لها ما يعطيه الأبناء لأوطانهم من تضحية وفداء للذود عن تربة الأوطان لم يبخل من الإبداع الذي هو خزين بداخله كانت أنشودة المطر عصارة جهده في قصيدة أمدها نصف ساعة من الموسيقى والألحان وغناء الكورال والتوزيع وصوت فؤاد سالم كان هو المقصود أيضا بأدائها. إلا ان سوء التسجيل بأستديوهات سوريا حال دون تكملة هذا العمل ، فظل حلم فؤاد حتى توفى رحمه الله لم يتحقق بأدائها وظل طالب غالي ينتظر اليوم الذي يقدم فيه هذا العمل لمحبي الموسيقى ومحبي طالب غالي في انتظار ساعة تقديمه..

صفحات من حياة إنسان تستحق بنا أن نبحث عنها ونوصل رسالتنا للأخرين ان المنجز لهذا المبدع هو بحد ذاته حكاية لإنسان عراقي ترعرع بأحضان تربة الوطن وظل وفياً له ولأهله وأصدقائه لنخيله الذي هو أجمل وصف اصف به هؤلاء الرموز الذين تزخر بهم ارض الحضارات ومنهم احلى الأسماء ابن شط العرب طالب غالي.. الربيع المتجدد.

أهمية مدرسة طالب غالي التلحينية بتأريخ العراق الغنائي

عندما اذكر مدرسة غنائية فأني لا أجامل احد فنحن عندما نذكر مدارس التلحين العراقية كالمدرسة البغدادية ورواداها والسبعينية ومؤسسيها وبالأسماء التي نعلم بها وبثقافتها لماذا لا يذكر اسم طالب غالي الذي يمتد عمره الفني ما يقارب الخمسين عام وما زال يقدم أعمالا ببلاد المهجر... اعتقد ان من يتحمل ذلك قلة الوعي للكثير من الباحثين اللذين يتصورون ان البحث بتأريخ الغناء العراقي مجرد التذكير لأغاني بأصوات المطربين والمطربات تاركين دور الملحن والشاعر اللذان بدونهما لم يولد المطرب او المطربة ، فكيف بنا ان نتحدث عن قامة عراقية قدمت لنا نماذج من صور اللحن الذي فارقناه من عقود وأصبحنا بوضع لا نحسد عليه ونحن وسط المتطفلين والطارئين على أهل الموسيقى من الأكاديميين والخبراء وما أكثر الباحثين عندنا ويا للأسف هذا حال الموسيقى والغناء عندنا.. أعود لمدرسة طالب غالي وأهميتها بتنمية ذائقتنا الغنائية حيث يدرك المستمع المثقف انه أمام فنان امتزجت موهبة الشعر الغنائي والتلحين وصوت جميل لقد أدرك غالي أن ثقافة الملحن لابد أن تصل لأبعد حدود من حدود الوطن عن طريق الكلمة التي يدركها المستمع العربي من أقصى الشمال إلى ابعد مكان في الوطن العربي قبل العراقي... كانت القصائد الملحنة والمقامات التي تفاعل معها كمقامات العجم والكرد والنهاوند حلقة وصل بين هذا الفنان وأعماله للمستمع العربي من روائع السياب والجواهري وسعدي يوسف ونصوصه ولغته التي تنسجم مع إحساسه المرهف الذي نمى عنده طيلة هذه العقود الزمنية ليثبت ان الملحن العراقي حاضراً منذ بداية تأسيس مدارس الغناء العراقي ديناً أو دنيوياً.

إن الثقافة الموسيقية والغنائية لدى الفنان طالب غالي تخطت الأطر الروتينية بعملية استخدام الموسيقى أو التلحين فبعد إبداعه المتعدد بمجال تلحين القصيدة والأغنية والأوبريت والتعامل مع موسيقى الدراما التلفزيونية والاهتمام بموسيقى وأغنية الطفل ذهب هذا الفنان الى أبعد ما نتصور إلى حيث ترجمة شخصيات فنية هي رمز من رموز مدينة البصرة منها موضوع غنائي وموسيقي عرفاناً منه بقيمة هؤلاء الناس باعتبارهم شخصيات أزلية... هكذا كانت شخصية (تومان) البصرية وتومان هو عازف لآلة موسيقية يعلم بها اهل البصرة وبالتالي كانت هذه الشخصية مشروع من مشاريع الموسيقى والغناء في بغداد عاصمة الثقافة ٢٠١٣.

مدرسة طالب غالي بين مدارس التلحين العراقية

عندما نذكر مدارس التلحين في العراق منذ بدايات القرن العشرين باعتباره مرحلة مهمة بتأريخنا الغنائي وأرثه الغني عن التعريف فالأسماء كثر والإبداع لا ينضب عند حد معين فمن المدرسة البغدادية تعلمنا ثقافة غنائية لم تغيب يوماً عن أبحاثنا وتحليلاتنا هكذا كان الرواد من مبدعينا امناء بنقل شخصية الأغنية العراقية ورصانتها خارج اسوار الوطن برغم حالة المجتمع العراقي وطقوسه الأجتماعية واستمر هؤلاء حالة من التجدد الذي كنا ندرسه وحين ظهور أسماء جديدة بنهاية العقد الستيني أمثال مدرسة القره غولي ومحمد جواد أموري الشهيرتين كان هنالك اسماء قد ظهرت متزامنة مع هاتين الأسمين وقدمت نفسها كأضافة فنية مع زملائهم أمثال حميد البصري وكوكب حمزة ومن تحدثت عنه طالب غالي فكل اسم مدرسته المستقلة عن زميله.. ومن يتمعن جيداً بألحان طالب غالي سيجد ان مدرسة هذا الفنان هي ثقافة جديدة من تلك الذائقة التي نحن بأمس الحاجة اليها فما ذكرته من روائع تلحينية لهذا المبدع لا تشبه المدارس الأخرى لزملائه اللذين ذكرت أسمائهم.. لقد اعتمد طالب غالي على نقل مستواه وعلميته الآتية من واقعه اولا ومن تأثره لمدارس أخرى كالمدرسة المصرية التي كانت ذات تأثير على غالبية ملحني المدرسة البغدادية ومن جاءوا بعدهم الا ان هذا الشيء وان حضر بمدرسته غالي فهو بحد ذاته تأثر بحدوده حيث تضمنت امكانيته التلحينية التطعيم الجميل والمثمر في تلحين القصائد والأغاني العاطفية بنكهة الغناء العراقي وتفاصيله من خلال الإيقاعات العمل الغنائي المدروس والذي نعلم بمضمونه.. ان تعامل غالي مع المقامات التي هي قريبة من نفسية المتلقي كالكرد والنهاوند والعجم كان بحرفنة كبيرة لذلك ظلت أعماله خالدة ولا أجمل من الاستماع من زمن لآخر... وعلى الرغم من هجرة هذا الفنان منذ نهاية العقد السبعيني والى ما بعد العام ٢٠٠٣ إلا أن محبيه ظلوا متابعين إبداعه المتواصل أين ما وجد بدول المهجر.

عقود من الإبداع وأعمال ذات قيمة رصينة برغم رحلة الغربة الطويلة هكذا هو فنان مجتهد إذا أردت أن اختصر الرأي بحق هذا المبدع سأوجز ذلك ، إن الملحن أو المطرب أو شاعر الأغنية إذا ما أرادوا أن يتواصلوا مع الإبداع المتجدد في عالم الأغنية أن تكون الأعمال نابعة من التراث أولا ومن ثم مواكبة التطور الغنائي من حيث ثيمة العمل الغنائي ومساره اللحني واعتبار أن الثقافة الغنائية لابد أن تكون ذات نظرة بعيدة المدى لتصل إلى الذائقة العالمية كمحصلة نهائية للمشروع الإنساني الذي هو متلاصق مع الإنسان.. ذلك هو الغناء ودور رسالته التي أوصلها ألينا أناس خلقوا الإبداع الذي نريده شكراً لطالب غالي ولمدرستك التي أحببناها وأحببنا من خلالها أن نكتب وتكتب عن لغة العالم الموسيقى والغناء .

المرحلة الرابعة ١٩٩٠ – ٢٠١٦

الدنمارك والمكوث فيها كانت المحطة الجديدة بحياة طالب غالي فبعد الهجرة القسرية من الكويت وما حصل من متغيرات كثيرة بحياة طالب غالي والعراقيين بشكل عام لم يغب الوطن عن وجدان غالي منذ غادره عام ١٩٧٩ ولم تغب البصرة وطقوسها وثقافتها وموروثها وشخصياتها المعروفة وكل الأماكن الخالدة لذلك ظل العقد التسعيني والألفية الجديدة التي شهدت التغيرات الكثيرة في العراق وما حصل بعد التغيير من عدم الاستقرار وأمور لا تحمد عقباها بالمقابل استمر طالب غالي يكتب الشعر

ويلحن للوطن ،للناس اللذين احبهم وحرص ان يحضر المؤتمرات الثقافية والموسيقية فكانت القصيدة حاضرة عنده كلحن وكانت الأغنية الوطنية زاده الذي يشبع ذاته ونكرانه مع تعاون ملحوظ مع مطربين ومطربات عرب وليأتي العام ٢٠١٣ عام بغداد عاصمة الثقافة ليكون حضوره واضحاً مع زملائه الفنانين العراقيين ووفاءاً لمدينته البصرة ورموزها الكثر اختار ذلك العمل المسمى (تومان) تلك الشخصية الشعبية والتي يعلم بها وبأهميتها أهالي البصرة ليقدمها بصورة جديدة اعتبرتها انتقالته المتجددة ورؤيته الواسعة هكذا هو تومان عند طالب غالي.

شخصية تومان البصرية بين موسيقى طالب غالي وشعر ستار البيضاني.

كما تحدثنا عن شخصية طالب غالي شاعراً وملحناً أبدع لعقود زمنية داخل وخارج العراق ورغم الألم الذي بداخله الآتي من غربة السنين إلا أن هذا الرمز في كل زمن له حكاية إبداعية هو من يرسمها بشجن موسيقي وغنائي تعددت أشكاله... وجماليته.. الملفت للنظر إن مدرسة غالي الشعرية وأسلوب قصائده توحي لك ان هذا الفنان وفي لمن هو بفكره وإحساسه بل يمكن ان أعبر وحسب ثقافتي البسيطة بفهم الشعر وما بداخل قلب الشاعر من خيال يعبر عنه بمواضيع ما هي إلا صور للحياة التي نعشقها فالربيع وحب المدينة ونخيل شط العرب وعشارها والأهل والأصدقاء والنسوة والوطن الجريح وأمور أخرى ببال غالي عبر عنها في الكلمة واللحن المعبر في عمله تومان في العام ٢٠١٣ ذلك العمل ما هو إلا وفاء لأحد الفنانين البصريين الفطريين والذي تعددت مواهبه كالعزف على أحدى الآلات الشعبية الهوائية المسماة بآلة (فريفره) ، والتمثيل أو التهريج، ما زلت أذكره وأذكر صوته وهو يحمل لافتة السينما ويصول ويجول بها بشوارع البصرة كوسيلة إعلامية.. هكذا هو تومان الذي رحل عن أهالي البصرة إلى العالم الآخر في ثمانينات القرن الماضي ليبقى اسماً تتذكره أجيال البصرة ويصبح مشروعاً غنائياً أو مادة غنائية ساهم باستذكارها ثلاثي مبدعي البصرة الفيحاء طالب غالي ملحن وستار البيضاني شاعراً وعدنان خلف مؤدياً بذلك العمل.. وهنا ندرك كمتلقين وباحثين قيمة مدرسة طالب غالي وإمكانيته بالتعامل مع الكلمة وأهمية الموضوع حيث تعددت المقامات التي استخدمها المبدع غالي مبتدأ بمقام السيكاه ثم الحجاز والبيات وبإيقاعات البصرة الشهيرة كالهيوه والإيقاعات الجنوبية الأخرى نصف ساعة عبارة عن درس من دروس طالب غالي بتلحين الأسكيتش الذي نريده ومرة أخرى اعجز عن وصفك يا أبن العراق أيها البصري الجميل الذي قدمت لنا وما زلت معطاء هكذا أصحاب المواهب والمؤثرين بفنهم لمن يستمع لمنجزهم..

الشعر في حياة طالب غالي

لست بشاعر وإنما وجدت نفسي بمديتني التي هي ولوده بالأدباء، شعراء وكتاب وهم يتنفسون الشعر ورافحته تلك هي سوق الشيوخ مدينة أجيال من الشعراء الراحلون منهم والحاضرون واللذين هم امتداد لمن سبقوهم فأنا من أسرة آل حيدر الأسرة التي قدمت المثقفين وعلماء دين وساسة همهم خدمة العراق لذلك أجد نفسي مقصراً على قدر متواي بهذا المجال..

ففي ديوانه الأخير (تقاسيم على الوتر السادس) أجد أن طالب غالي قدم لنا الشعر حبا ولحنا يخرج من القلب الذي عانى من الغربة وعانى من الحنين الجنوبي العراقي المتمثل بصور الهور ولأرض الطيبة والأصدقاء.

ماذا يعني بتلك الجملة (أصدقك القول بأن المدن المنفى موحشة خرساء) وعلى عكس ذلك يذكر (أيمُ ذاكرتي شطر الوطن المأسور حنيناً لي فيه محطات للدفئ وللفرح والأمر والعشق) أنها محطات العمر من حب وأغنيات وسماء وأمطار ووطن ، وكموسيقي يدرك أهمية الآلة الموسيقية ومدى تأثيرها بالنفس البشرية نجد ديوانه لم يخلو من ورود آلة الناي الحزين هكذا هو الحزن رفيقه وها هم احبته صور لنكران ذاته ، اعتقد بصفتي متلقي للشعر الذي لا أجد فيه لغة الغموض عند الكثير من الشعراء غاب عني وان أقرأ ديوان طالب غالي ربما لأني فهمت هذه الشخصية أو ربما هو الحب له لذلك توضحت لدي الرؤية بدون رتوش او رموز ولا أفهمها سأظل أذكر أسماء (سنا ودنى ولنا) حبيبات غالي فهن المال والبنون وزينته وهن الأم والأخت.. والحياة لم يكتفي بوفائه عند هذا الحد فراح يذكر أسماء الأصدقاء اللذين يرى فيهم شيء بحياته فمجيد البصري والراحل كامل شياع صورهم بتلك الصور التي لا تخلو من جمال الخلق والذكريات وما تعنيها ، وماذا بعد يا طالب غالي.. الذي كنت معي تمراً أحببته كثيراً لأني أرى فيه الخير يا بعيداً وقريباً عني.

تلحين القصيدة بمسيرة طالب غالي الموسيقية

من حقنا أن نتباهى إننا أمام ملحن تعامل مع تلحين القصيدة وما تستحقه باعتبار إن لغة الشعر ومضمونها تعد موضوع ليس باستطاعة أي ملحن أن يتعامل مع هذا القالب الصعب سوى هؤلاء الملحنين اللذين يتميزون عن اقرانهم بجملة أمور ومنها الثقافة الذاتية للملحن الذي يتابع قراءة القصائد والمواظبة عليها والتأريخ الغنائي العراقي يحدثنا عن اسماء كبار الملحنين اللذين قدموا لنا دروس بكيفية التعامل مع لغة الشعر امثال الراحلون احمد الخليل وناظم نعيم ووديع خوندة وعلاء كامل وسالم حسين وجعفر حسن وفاروق هلال ورضا علي وروحي الخماش وقائمة لا تنتهي وصولاً لطالب القره غولي وجعفر الخفاف ومع الاعتزاز بمن برز من فنانين بعقد الثمانينيات أمثال كاظم الساهر ومهند محسن ومجتهدين كثيرين وهذه حالة صحية تعبر عن رصانة الإرث الغنائي العراقي.. أعود لمن كتبت من أجله طالب غالي وحبه المميز خلال روائع اللحن ولتكون قصائد السياب مادة للحديث عنها في غريب على الخليج التي أداها الراحل فؤاد سالم وفي أنشودة المطر ودجلة الخير للجواهري ويعاد الربيع حبيبي لطالب غالي نفسه نجد ذلك التألق المستمر مع كل عمل مما ذكرته من تلك الأعمال فتعدد استخدام المقامات والإيقاعات وتوضيح المفردة الشعرية بلغة الموسيقى واستخدام الآلات الإيقاعية التي عبرت عنها آلات الطبلة والرق والدف وآلة التمباني كانت تحدثت عن قيمتها ودورها في العمل الغنائي ولا ننسى استخدام الكورال بأعماله تلك ، ان مقامات الكرد والنهاوند والصبا والحجاز والبيات كانت ادواته التلحينية.

وكما أشرت أن غالي شاعراً أصيلاً لهذا وجدنا ثقافته حاضرة وهو يتعامل مع القصيدة او الشعر بصورة عامة وكباحث لابد ان أستذكر هذا المبدع وطريقة التعامل مع الشعر الغنائي بكل تقديم وحجم الإمكانية التي يمتلكها إذن نحن أمام معلم لمن يريد التعلم والوصول للرقي التلحيني الذي فقدناه بزمن الألم هذا.

حوارات بيني وبين طالب غالي.
المركز الدولي لدراسات الموسيقى التقليدية.

ت	اسم العمل الغنائي	الكلمات	غناء
١	العيون النرجسية	طالب غالي	طالب غالي
٢	عاد الربيع حبيبي	=	سيتاهوكيان
٣	طاح الندء بكصيبه	ابو سرحان	مائدة نزهت
٤	حلو حلو	كاظم السعدي	مائده نزهت
٥	سالم وطنه	طالب غالي	مائدة نزهت
٦	اوبريت المطرقة	علي العضب	
٧	عمي يابو مركب	كريم العراقي	فؤاد سالم
٨	هلي	طاهر سالم	=
٩	ام راشد	=	فؤاد سالم
١٠	امري	=	فؤاد سالم
١١	ودعونه	داود الغنام	=
١٢	الناوي يمشي بسفر	داود الغنام	فؤاد سالم
١٣	غريب على الخليج	بدر شاكر السياب	=
١٤	دجلة الخير	محمد مهدي الجواهري	=
١٥	انشودة المطر	بدر شاكر السياب	=
١٦	ارض ربانه الخضرة (مسرحية)	علي العضب	رياض احمد
١٧	حنه يابوية رفاكه	طاهر سلمان	فؤاد سالم
١٨	تذكرني	داود الغنام	علي محمود
١٩	والله ما حبيت كبلك	=	=
٢٠	اول هوى وآخر هوى	طاهر سلمان	فؤاد سالم
٢١	ودعونه	داود الغنام	فؤاد سالم
٢٢	مسافرين	=	=
٢٣	آلي الله	=	=
٢٤	حبيناكم	=	=
٢٥	ضيعتني وضاع كل عمري	محمد حسن جودي	علي محمود
٢٦	خل يجري دمع العين	طالب غالي	طالب غالي
٢٧	يابلام ردنه لهلته	علي العضب	فؤاد سالم
٢٨	غرباء عندما نلتقي	محمد سعيد الصكار	طالب غالي
٢٩	ضائع بعد عينيك	=	=
٣٠	مسلسل للأطفال/لوسي		سنا طالب
٣١	مسلسل للأطفال/الحوت		=
٣٢	مسلسل/ بومبو		=
٣٣	تومان	د. ستار البيضاني	عدنان خلف
٣٤	لو فرحة لو عيد	طالب غالي	طالب غالي
٣٥	ادري..ادري	سهيل ناصر	سني طالب
٣٦	يوم الشهيد	الجواهري	طالب غالي
٣٧	سالم المرزوق	سعدي يوسف	=
٣٨	ضيعتني	محمد حسين جودي	=
٣٩	نشيد موطن الشمس	طالب غالي	المجموعة
٤٠	نجمة..نجمة	=	لنا طالب
٤١	يعيدين	=	طالب غالي
٤٢	ميلاد حزينا	=	=
٤٣	أفق يدعو	محمد سعيد الصكار	=
٤٤	حبيبتي والعراق	عدنان الصائغ	=
٤٥	خيجان اسأل يا أمي	محمد سعيد الصكار	=
٤٦	مسرحية سندريلا	فلاح هاشم	لنا طالب
٤٧	مسرحية سندس	=	=

وهناك الكثير من الروائع الغنائية التي ام توثق وما كتبته عن طالب غالي ماهو الا جزء يسير من ابداعات غنائية وموسيقية ربما سنجد باحث اخر يضيف الى ماذكر في هذه الدراسة..

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق
الاخراج الفني: خالد خضير
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

درشة مع الملحن طالب غالي

حسين رشيد

بهدوئه وبهائه أطل علينا في المركز الإعلامي لمعرض اربيل الدولي، مبتسماً بروح البصرة التي لا تفارقها بحله وترحاله، جاء بمركبه الذي حمل معه سالم المرزوق، وهبط على جبال كردستان التي أعادت اليه وهج ذكريات النضال ضد الدكتاتورية البعثية. طالب غالي الملحن البصري الذي تحدث عن اهمية الكتاب مبتدئاً ببيت الشعر الشهير (أعز مكان في الدنى سرج سابح وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ).

الكتاب بالنسبة لي ينبوع دائما الجريان بكل ما هو جديد، ينبوعٍ للحياة والجمال والثقافة والمعرفة، مضيفاً وبالطبع الأمر هنا يتوقف على نوعية الكتاب، ما أقصده هناك تلك الكتب التي تنير العقل وتفتح كل المغاليق بوجه المعرفة. وعن قراءاته قال غالي: بالطبع القراءات الفكرية والسياسية اخذت الشيء الكثير منا، مع القراءات الادبية. وعن بداية تلك القراءات قال: كنت اقرأ الاشعار الحسينية ولا زلت احفظ الكثير منها، كون أمي كانت مُلاية، من ثم كتابات نجيب محفوظ ويوسف إدريس، معتبرا ان السياب فتح امامه عوالم القراءة والشعر.

عن انتقاله من التلحين الى الشعر قال: ياعزيزي حسين الانتقال كان بالعكس فقد انتقلت من الشعر الى التلحين والبداية كانت مع امي ايضا اذ كنت اكتب لها ما تترجلها من اشعار حسينية يومها كنت في الابتدائية ومنذ ذلك الوقت دخل الشعر الى كياني:

وقد نشرت اول قصيدة في مجلة الكلمة عام ١٩٦٧ بعد ذلك أصدرت مجموعة (حكاية لطائر النورس) عن وزارة الثقافة والإعلام، ومجموعة (تقاسيم على الوتر السادس) عن دار المدى.

وتحدث غالي عن رحلته مع الفنان فواد سالم: إن هذه الفترة تعد من أخصب الفترات الفنية لي والتي استمرت منذ عام ١٩٧٩ ولغاية ١٩٨٥ حيث لحنت خمساً وعشرين أغنية للفنان فؤاد سالم على مدى تلك السنوات. أهم ما قدمناه سوية رائعة بدر شاكر السياب (غريب على الخليج) وكذلك قصيدة الجواهري الكبير (دجلة الخير). بعد أن غادر فؤاد سالم الكويت افتقدته كثيرا حيث كنت اعرف أبعاد صوته وأتحسس مواقعه القوية.. مضيفا: قدمنا سوية الى الاذاعة وتم قبولنا فواد مطرباً وانا مطربا وملحنا لكن الفنان وديع خونده نصحني ان أتجه الى التلحين وان أُقدم الألحان للفنان فواد سالم وهذا ما حصل.

طيب هل تغني الآن: نعم أُغني وأُغني كثيرا، كلما سكتُّ عن الحديث أغني مع نفسي كل الأغاني. وعن جديده قال: اعمل الآن على شريط لتومان البصري، وقصيدة اخرى كتبتها قبل فترة اعمل على تلحينها وهي تماهي بين الوطن والحبيبة، ربما انتهي منها في الايام المقبلة. معتبرا ان (غريب على الخليج) احب اغنية إليه كونه عاش معاناة هذه الاغنية حين كان في الكويت ولا يستطيع رؤية عائلته التي تسكن البصرة!

وعن البصرة قال: هي الأم الحنون والروح التي تسري مع روحي،هي الذكريات والطفولة والاصدقاء، هي الانهار والنخيل، هي البصرة التي ولدت طالب غالي.

عراقيون
من زمن التوهج